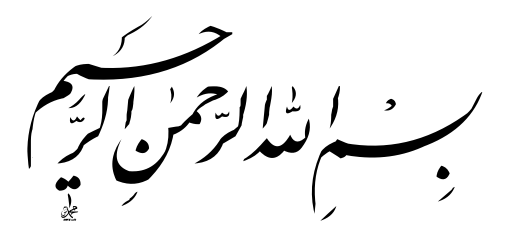
مفهوم المجتمع المثالي بين الفلسفة والأدب


بسم الله الرحمن الرحیم

مفهوم المجتمع المثالي بين الفلسفة والأدب

دراســـة فـي

(كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة) للفارابي
و(يـوتـوبيـا) تـومـاس مـور

الدكتور/ عبدالله عبدالرحمن بكير

The Concept of the Ideal Society

Philosophy and literature

A Study in Al–Farabi's Virtuous City

And Thomas More's Utopia

الطبعة الأولى (2019م)

المحتويات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فإن أساس هذه الدراسة بحث سبق أن تقدمت به إلى المؤتمر العلمي الأول للعلوم الإنسانية والاجتماعية الذي عُقد بجامعة الأندلس للعلوم والتقنية بمدينة صنعاء في المدة ما بين 4 – 5 فبراير 2018م.

ولقد كُتب البحث حينها باللغة الإنجليزية وتم عرضه ومناقشته في إحدى جلسات المؤتمر بعد أن أجازته لجنة التحكيم. ثم نُشر بعد ذلك في كتاب المؤتمر الذي حوى كل ما صدر من أبحاث ودراسات – المجلد الأول (302– 336).

بعدها تم نشره في مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية العدد (18) المجلد (5) السنة الثانية عشر (إبريل– يونيو) 2018م (5– 40) بعد أن تم تحكيمه وإجازته.

وكان عنوان البحث:

Utopian Literature of the Ideal Society in Al–Farabi's **Virtuous City** and **More's Utopia**

"الأدب اليوتوبي من أجل مجتمع مثالي: دراسة في كتاب الفارابي (المدينة الفاضلة) وكتاب مور (يوتوبيا)".

وخلاصة البحث تحددت في أن الأدب اليوتوبي (الخيالي) في معناه الأوسع يعالج "**المفاهيم والأفكار التي لا يمكن تطبيقها في الحياة الإنسانية الواقعية. هذا النوع من الأدب بل ومن التفكير أيضًا، على الرغم من أننا نعدُّه خياليًا وربما وهميًا؛ إلا أنه يحمل في طياته معانيَ سامية ويهدف إلى**

غايات إنسانية نبيلة.

فالفارابي في (المدينة الفاضلة) ومور في (يوتوبيا) يقدمان إلى الإنسانية من خلال هذين العملين العظيمين نموذجًا للمجتمع الإنساني الفاضل والمثالي اللذين يطمحان بوصفهما فيلسوفين، تحقيقه في واقع الحياة الإنسانية.

وعلى الرغم من صعوبة تحقيق هذا الطموح -كما يعترفان هما بذلك- يظل هدفًا نبيلاً وغاية سامية يمكن تحقيقها، إذا كانت الفضيلة والخيرية تقودان خطى البشرية إلى الكمال والسعادة.

تبحث هذه الدراسة هذين العملين بوصفه أدبًا يوتوبيًا بصرف النظر عن الأفكار الفلسفية العميقة والمقاصد الإنسانية النبيلة التي هي

أساس وهدف هذين العملين"

غير أنني عند إعادة صياغة وكتابة هذه الدراسة باللغة العربية فضلت توسيعها لتشمل الجانبين الفلسفي والأدبي. وعلى ضوء الصياغة الجديدة والإضافات الجديدة وتطوير هدف البحث والدراسة في الكتابين تم تغيير العنوان ليتلاءم مع المضمون والمحتوى الجديد للدراسة.

وتكمن أهمية الدراسة في مفهوم المجتمع المثالي الفاضل مع معطيات ومتغيرات العالم المعاصر التي اختلفت فيه موازين العلاقات السياسية والاجتماعية داخل المجتمع الواحد والدولة الواحدة أو بين المجتمعات والدول المختلفة. وتغلبت قوى الشر والرذيلة على قوى الخير والفضيلة، فساد الظلم والقهر والاستبداد وتفشت الصراعات والحروب.

ونحسب أننا بهذا الجهد المتواضع جداً نضيف صوتًا إلى الأصوات التي تدعوا إلى الخير والفضيلة من أجل رفاهية الإنسان وسعادته في دنياه وآخرته.

والله من وراء القصد،،،

د. عبدالله عبدالرحمن بكير

25 رمضان 1440هـ

29 مايو 2019م

توطئة:

يحاول مفهوم المجتمع المثالي في الفلسفة والأدب أن يقدم للإنسانية نموذجاً مثالياً للمجتمع والدولة. وتبرز أهميته أكثر كلما تعرضت المجتمعات الإنسانية إلى انتكاسات وانحرافات على المستوى الفكري والثقافي أو على مستوى السلوك والممارسة.

وتقدم الأعمال الفلسفية الأدبية أو الأدبية الفلسفية منذ نشوء الحضارات الإنسانية في العالمين القديم والحديث حتى يومنا هذا أفكارًا وآراء أو صورًا ذهنية لمجتمع إنساني فاضل تتحقق فيه العدالة والمساواة والحرية والسلام والسعادة، مجتمع مثالي ينبذ كل ما لا يستقيم والفطرة الإنسانية.

غير أن هذا المفهوم وعلى مستوى الآداب والفنون غالباً ما يحلق عالياً في سماوات وفضاءات من الخيال الجامح متجاوزاً حدود العقل الإنساني وحدود الواقع.

وهذا النوع من الأدب المثالي يشكل قاعدة فلسفية تبحث في كيفية بناء مجتمع طاهر ونقي تسوده قيم الفضيلة وتندحر فيه مظاهر الفساد والرذيلة.

ولربما لم يكن فيلسوف الإغريق **افلاطون** الذي عاش ما بين الأعوام 427 – 347 قبل الميلاد هو أول من كتب في هذا المجال ولربما سبقه في ذلك فلاسفة آخرون من الشرق أو من الغرب. ولكنه بكل تأكيد أكثر من ذاع صيته من الفلاسفة والأدباء في الكتابة عن المجتمع المثالي والدولة المثالية؛ وبالذات في تحفته الفلسفية الأدبية **الجمهورية Politeia**؛ وذلك بين الأعوام 370– 360 قبل ميلاد المسيح عليه السلام حسب أفضل الروايات. وكما يشير (قاموس **أكسفورد الكلاسيكي**) فإن هذا الكتاب يعد "شرحًا للمبادئ التي من وجهة نظر **أفلاطون** أن يقوم عليها المجتمع المثالي. الحكام هم الفلاسفة – الملوك

الذين هم وحدهم يمتلكون معرفة فكرتي العدالة والخير."
{هوتسون:1989 : 485}❋[1].

وعليه فإن **أفلاطون** يحاول أن يرسم البناء النظري النموذجي في ضوء فلسفته المثالية.

ويبدو جلياً من خلال الوقائع التاريخية أن أحد الدوافع لكتابة **الجمهورية** هو ما كان يلاحظه من انحلال وتفسخ على مستوى المجتمع والدولة في مدينة **أثينا** وما كان يعانيه ذلك المجتمع من الاستغلال السيء أو الفهم الخاطئ للديموقراطية. والذي أثاره أكثر وشحذ همته وقلمه حادثة محاكمة أستاذه الفيلسوف **سقراط** وتنفيذ حكم الإعدام فيه عام 399 قبل الميلاد. لقد كان حدثاً دراميا مأساوياً لديمقراطية فاقدة لقيمتها في الواقع الفعلي المعاش.

---

(1) كل ما يرد من اقتباسات من المصادر الإنجليزية هي من ترجمة الباحث.

لاحـظ أفلاطـون أن الجشـع والطمـع المـادي للسياسيين أحد أسوأ الشرور في الحياة السياسية. وعليـه فانـه كـان لزامـًا الفصـل بـين النفـوذ الاقتصـادي والنفـوذ السياسـي. إضـافة إلـى ذلـك فـإن التجربـة قـد عمقـت لـدى أفلاطـون كراهيتـه للغوغاء وأن الديمقراطية يجب تستبدل بحكومـة من الحكماء {جمهورية أفلاطون: VI: 2000}.

وفي السـياق نفسـه، وبـنفس أسـلوب سـلفه واسـتاذه **أفلاطون** تقريبـًا كتب مؤسس الفلسفة العربية الاسلامية **أبونصر الفـارابي** المولـود عـام 870 ميلادية والمتوفي عـام 950 ميلاديـة رسـالته الشـهيرة **كتـاب آراء أهـل المدينـة الفاضلة** وذلك في العام الميلادي 943 تقريبـًا.

ولما كان **الفارابي** أيضـًا مدركـًا لعملية النخر التي كانت تـدب في جسـد الدولـة العباسـية التـي كانـت مركـزاً للعـالم

الاسلامي بل ومركزاً حضارياً عالمياً فقد كتب رسالته **آراء أهل المدينة الفاضلة** في تصور مثالي آخر للمجتمع الانساني الفاضل محاكياً في ذلك الفلسفة الأفلاطونية المثالية. وهي رسالة واضحة لأولي الأمر في الدولة العباسية لإعادة النظر في مقومات الدولة ومؤسساتها.

أن الفلاسفة وهم يلاحظون هذه الأحداث، قاموا بتطوير البنى الأساسية التي تساعد على خلق نظام الدولة واستقرارها. والآراء التي يفترضها الفارابي، تهدف إلى تغيير المجتمع لغرس المبادئ والمعايير والقواعد التي سترسخ الوضع السياسي، والتي بالنتيجة ستحقق مركزية سلطة الدولة ورفاهية وسعادة سكان المدينة {88:2016}

وفي التفاتة مهمة وإشارة صائبة يرى **محمود خوشناو** في بحثه **تحول الفارابي عن جمهورية أفلاطون**

أن أهـم الفروقـات بـين مدينـة الفـارابي الفاضـلة وجمهورية أفلاطون المثاليـة هـو أن أفلاطـون لـم يعط للمواطن الدور المهم في بناء مجتمعه ودولته لأنه لا يمتلك الكمال التام الذي يمتلكه الملك – الفيلسـوف. بينمـا الكماليـة التامـة عنـد الفـارابي يجـب أن تتـوفر لـدى جميـع حكمـاء ومـواطنين عـاديين كـونهم جميعـًا يشـاركون في بنـاء مجتمعهم ودولتهم ككل متكامل {6:2014}.

وفي مرحلة عصر النهضة الأوروبية كتب السير **تومـاس مـور** المولـود عـام 1477 والمتـوفي عـام 1535 الفيلسـوف والسياسـي الإنجليـزي وأحـد مفكـري المدرسـة الإنسـانية المسـيحية Christian Humanism كتابـه **يوتوبيـا** في عـام 1516 مقتفيـًا أيضـًا أثر **أفلاطون** في كتابـه **الجمهوريـة**. هـذا الكتاب كُتب باللاتينية لغة علوم ذلك العصر ومعارفه وتـم

ترجمته إلى الإنجليزية لأول مرة في العام 1551 أي بعد أكثر من خمسة وثلاثين عاماً من إصدار طبعته الأولى باللغة اللاتينية.

ويعالج موضوع الكتاب فكرة المجتمع المثالي والدولة المثالية؛ غير أن المؤلف هنا يختار اسلوب الرواية القصصية النثرية Prose Fiction لعرض أفكاره وآرائه، خلافاً لأسلوب **أفلاطون** و**الفارابي**. وبهذا الأسلوب الروائي القصصي أستطاع **مور** جذب كل من طلبة الأدب وأساتذته وكذا القارئ العادي الاستمتاع بهذا العمل الأدبي الفلسفي.

وكما كان للواقع الاجتماعي والسياسي المضطرب تأثيره في تأليف كتابي (**الجمهورية**) و(**المدينة الفاضلة**) فإن الظروف الاجتماعية والسياسية للدول الاوربية وبالذات في انجلترا قد دفعت بالسير **توماس مور** لكتابة

يوتوبيا. لقد كان لظروف الحرب الأهلية داخل كل إمبراطورية والحروب بين الامبراطوريات الاوربية بسبب نظام الملكية الخاصة Private Property وبسبب الجشع والطمع الناتج عن نظام الإمتلاكية Landlordism أثره البالغ في تأليف **يوتوبيا** الذي أراد المؤلف أن يعطي البديل النظري لنظم الحكم الدكتاتورية والاستبدادية في أوروبا.

وما عدا هذه الأعمال الفلسفية الأدبية التي تعالج مفهوم المجتمع المثالي والدولة المثالية فهناك أيضًا العديد من الأعمال في الأدب الأوروبي اليوتوبي كما يصفه الاوروبيون منها على سبيل المثل لا الحصر كتاب **مدينة السيدات** (1404) من تأليف **كرستينا دوبيزان** و**مدينة الشمس** (1602) لمؤلفه **تومازو كامبا نللا** وأيضًا **اطلنطا الجديدة** (1626) الذي ألفه السير **فرانسيس بيكون** وهناك أعمال أخرى حديثة ومعاصرة كتبت في هذا الموضوع.

وإذا كانـت **المدينـة الفاضـلة** و**يوتوبيـا** تحتويـان علـى الكثير مـن الأفكـار والطروحـات الفلسـفية العميقـة؛ إلا أن فيهما من الخيال الجـامح غيـر الـواقعي مـا ينـدر وجـوده في واقع الحياة الانسانية. وتظل الرؤية المثالية التواقة لمجتمع فاضل مهمازاً فكريـاً لدى الفيلسوف يبني عليه تصوره مـن أجـل مجتمـع غايـة في المثاليـة والنقـاء والطهـر. ومـع ذلـك يعـترف **الفـارابي** كمـا يعـترف **مـور** أن مجتمعـاً مثاليـاً كمـا يتصـورانه ودولـة مثاليـة كـالتي يرسـمانها لـيس مـن السـهل تحقيقهـا في الواقـع ولكنهـا تظـل فكـرة إنسـانية نبيلـة وغايـة إنسـانية يطمـح الانسـان الفاضـل إلـى تحقيقهـا أو تحقيـق جانب كبير منها.

إن الأفكار الأساسية لمفهوم المجتمع المثالي الفاضل يرتبط بالمفهوم الفلسفي للمدرسة الانسانية Humanism التي ظهرت في اوروبا في عصر النهضة بعد أن أُعيدت قراءة

الفكر الفلسفي الكلاسيكي بشكل جديد متطور، وبعد أن استوعبت مبادئه وأهدافه من قبل مفكري الغرب الاوروبي وأصبحت جزءاً من ثقافتهم وتفكيرهم. والمدرسة الانسانية حسب تعريف (**الموسوعة البريطانية**) تعني:

تطور الفضائل الانسانية بكل اشكالها حتى غايتها النهائية. وإنسانية عصر النهضة لا تخص تعليم الشباب فحسب ولكنها أيضًا مرشداً للكبار (بما فيهم الحكام) من خلال الأدب الفلسفي وفن البلاغة. إنهالا تحتوي فقط على النقد الاجتماعي الواقعي، ولكنها أيضًا تحتوي على فرضيات مثالية، إلا أنها ليست اجتهادات إعادة تقويم التاريخ فحسب، ولكن أيضًا إعادة تشكيل جريئة للمستقبل. {طبعة إلكترونية: 2013}.

لقد كان **مور** من أكثر علماء عصره ريادة للمذهب

الانساني وبالذات من خلال علاقاته الحميمة والمتينة بأساتذته في جامعة أكسفورد الذي كان لهم قصب السبق في إبراز الفكر الانساني الفلسفي في اوساط المفكرين وطلبة العلم في **انجلترا**. ليس هذا فحسب بل أن **مور** قد تأثر بأفكار وطروحات العلامة الهولندي **ايراسموس** المولود في عام 1466 الذي توفى في العام 1536 الذي شهدت له الأوساط العلمية والفكرية في اوروبا بالريادة في هذا الحقل. ويرى مؤرخو عصر النهضة أن من أهم المؤلفات التي تُعَدُّ نماذج متميزة للفكر في ذلك العصر كتاب **يوتوبيا** للسير **توماس مور**.

ولم يكن المذهب الانساني في انجلترا بل وفي البلاد الاوروبية الاخرى اول المذاهب الفلسفية الانسانية بل سبق الى ذلك وقبل حوالي ستة قرون من عصر النهضة الاوروبية ما شهدته الحضارة العربية الاسلامية من نهضة فكرية وثقافية عظيمة في مختلف حقول العلم والمعرفة.

وكانت لحركة الترجمة وبالذات من الاغريقية الى العربية والسريانية وظيفة كبرى في نقل التراث الاغريقي الذي استوعبه العلماء والفلاسفة العرب والمسلمين وأسهموا كثيراً في تطويره وتقدمه. ولقد كانت **دار الحكمة** التي أسسها ودعم مشاريعها العلمية والفكرية في الترجمة والبحث والدراسة الخليفة العباسي السابع **المأمون** المولود عام 780 والمُتوفَّى عام 833 منارة من منارات العلم والمعرفة وصرحاً متألقاً من صروحه.

لقد اتجهت حركة الترجمة في تلك المرحلة إلى ترجمة أمهات المؤلفات الاغريقية في الفلسفة والعلوم الطبيعية، وقد عين العلامة **حنين بن إسحاق** المولود عام 808 والمُتوفَّى عام 873 على رأس ما يمكن تسميته اليوم بقسم الترجمة في هذه الدار. إذْ اثريت المكتبة العربية الاسلامية بترجمات ذخائر الفكر والثقافة والأدب الاغريقي وتلاه

بعد وفاته في هذه المسؤولية ابنه **اسحاق ابن حنين** المُتوفَّى عام 911، الذي سار على خطى والده في ترجمة عدد من مؤلفات الاغريق في مختلف حقول العلم والمعرفة والاعتناء بها. ومن بين أهم من ترجموا آثار الاغريق في العلوم الطبيعية والفلسفة الطبيب الفيلسوف **أبوبشر متَى بن يونس** المتوفى عام 940 وهو أستاذ **الفارابي** وهو من ترجم كتاب **فن الشعر لأرسطو**. وممن أسهم أيضًا في الترجمة والتأليف **أبوزكريا يحيى بن عدي** المولود في عام 893 والمُتوفَّى عام 974 وهو أحد تلاميذ **الفارابي**.

هذه النهضة الفكرية والعلمية والثقافية أسست لما يمكن تسميته بالحركة الفكرية الانسانية في الثقافة العربية الاسلامية والفكر العربي الاسلامي.

في هذه البيئة العلمية والفكرية عاش الفارابي إذ عشق وأستلهم الفلسفة الاغريقية وبالذات فلسفة افلاطون

وأرسطو، تأثر بهذه البيئة وأثر فيها وكانت له نتاجاته العلمية في مختلف حقول المعرفة ومنها علوم الفلسفة.

وتأسيساً على ذلك تتضح ملامح الشبه بين البيئة الفكرية والثقافية في عصر **الفارابي** في القرن العاشر الميلادي، والبيئة الفكرية والثقافية التي عاش في أجوائها **مور** في القرن السادس عشر الميلادي. لذلك جاءت رسالة **المدينة الفاضلة** ورواية **يوتوبيا** نتاج هذا الفكر ونموذجاً متميزاً في ادب المجتمع المثالي الفاضل والدولة النموذجية الفاضلة. وعليه فإن المذهب الانساني في الفلسفة والادب لا ينتمي إلى رقعة جغرافية معينة ولا إلى مدة زمنية محددة كما تعرفه (**الموسوعة البريطانية**). ولكنه ينتمي إلى كل مكان وإلى كل زمان. إذ تورد (**الموسوعة البريطانية**):

إنَّ القبول بفكرة انسانية عصر النهضة كانت بكل بساطة في العودة الى المؤلفات الكلاسيكية،

حيث أن بعض المؤرخين وبعض علماء فقه اللغة فسروا النهضة الكلاسيكية التي تحدث في أي مكان في التاريخ يجب أن تدعى بالإنسانية.

لذلك فأن ابو **نصر الفارابي** **وتوماس مور** ينتميان الى نفس تلك المدرسة الفلسفية الانسانية لأمتين مختلفتين وعصرين مختلفين. ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة لتلقي الضوء على عملين أدبيين فلسفيين في لغتين مختلفتين وثقافتين مختلفتين نسبياً، وكذا في عصرين مختلفين لإبراز مفهوم أدب وفلسفة المجتمع المثالي الفاضل والدولة المثالية الفاضلة في هذا العصر الذي نعيشه عصر الفساد السياسي والاجتماعي. عصر اخذت فيه رياح الرذيلة تتجه نحو قيم الفضيلة في محاولة خطيرة لتحجيمها وتقزيمها.

المجتمع المثالي الفاضل كما يراه الفارابي

الفارابي.. المعلم الثاني

ولد **أبو نصر محمد بن محمد الفارابي** في منطقة **فاراب** في بلاد **كازاخستان** الحالية. يدعى بالمعلم الثاني كونه يأتي في الدرجة الثانية في العلوم الفلسفية بعد المعلم الاول **أرسطو**. وكان أفضل علماء عصره فهماً لنظريات **أرسطو** الفلسفية واجدرهم على شرحها.

حتى لقد اعتبر أكبر الفلاسفة من بعده، وأعظم ناشر وموضح لآرائه. ولما كان أرسطو قد اشتهر بلقب (المعلم الاول) لذلك أطلق على خليفته في عالم الفلسفة وناشر آرائه لقب (المعلم الثاني).
{وافي: ص5}

تلقى **الفارابي** تعليمه في مسقط رأسه **فاراب** إذ درس الرياضيات والعلوم الطبيعية والآداب والفلسفة. ودرس

من اللغات الفارسية والاغريقية والعربية. ثم غادرها متجهاً إلى مدينة **بغداد** مركز العلوم الطبيعية والمعارف الانسانية وهو في سن الخمسين بحثاً عن المزيد من هذه العلوم والمعارف.

وللاستزادة في فهم اللغة العربية وآدابها فقد تتلمذ على يد عالم فقه اللغة المشهور **أبو بكر محمد بن السراج**. وفي علم المنطق والفلسفة وحقول المعرفة الأخرى درس على أيدي كبار علماء عصره ومنهم **أبوبشر متى بن يونس ويوحنا بن حيلان**.

عاش **الفارابي** حياته زاهداً متقشفاً مكرساً نفسه ووقته في التأمل والتفكير؛ وبرع في علوم الفلسفة خاصة الفكر الفلسفي الإغريقي. وكان أفضل المستوعبين والشارحين له.

وقد ذكر ابن سينا انه طالع كتاب (ما بعد الطبيعة)

لأرسطو أكثر من أربعين مرة ولم يفهمه حتى وقع اخيراً على كتاب للفارابي في (اغراض ما بعد الطبيعة) فلما قرأه فتح له ما كان مغلقًا واتضح ما كان مغمضًا. ومع ذلك فإن قيمة الفارابي الحقة تقوم على ما صنف من كتب.

{ نادر: 12:1968}

ويرى الدكتور **عبدالواحد وافي أن الفارابي هو المؤسس الحقيقي للدراسات الفلسفية في العالم العربي، والمنشئ الاول كما تسمى اليوم (الفلسفة الاسلامية). فقد اشاد بنيانها، ووضع الاساس لجميع فروعها. ولا نكاد نجد فكره عند من جاءوا بعده من فلاسفة الاسلام إلا لها أصل لديه. وهو أعرف فلاسفة الإسلام بتاريخ الفلسفة ونظريات الفلاسفة. فهو يتحدث في مؤلفاته**

حـديث الخبيـر عـن المـدارس اليونانيـة ويبـين الفـوارق بينهـا ويحـاول التوفيـق بـين افلاطـون وارسطو. {ص11}

ويحتل **الفارابي** منزلة رفيعة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية. وقيل ان **البهيقي** في كتابه **(تاريخ حكماء الاسلام)** أشار إلى أن "**الحكماء أربعة اثنان قبل الإسلام وهما ارسطو و أبو قراط؛ واثنان في الإسلام وهما أبو نصر (يقصد الفارابي) و أبو علي (يقصد ابن سينا)**" **{فاروق سعد: 1981 :21}**. أما ابن ابي أُصيبعة فيصف **الفارابي** بأنه كان "**فيلسوفًا كاملاً، وإمامًا فاضلاً، قد أتقن العلوم الحكمية، وبرع في العلوم الرياضية، زكي النفس، قوي الذكاء، متجنبًا عن الدنيا، مقتنعًا بما يقوم بأوده. يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين**" **{نقلاً عن كتاب فاروق سعد ص21}**.

لقد كتب **الفارابي** أكثر من مائة مؤلف في مختلف

ميادين المعرفة الانسانية، وصل إلينا منها أربعون مؤلفًا فقط. ثلاثون منها في لغتها العربية، وستة مؤلفات مترجمة الى العبرية، واثنان مترجمان الى اللاتينية.

ولم تكن شهرة **الفارابي** مقتصرة على العالم العربي والاسلامي فقط، بل تجاوزت هذه الحدود الجغرافية لتصل الى القارة الأوروبية في العصور الوسطى بعد أن ترجمت الى اللاتينية و الى لغات أوروبية اخرى. يقول **صادق بيفاسته** في بحث له عن **الفارابي** والمجتمع المدني **"وخلال العصور الوسطى كان لكتابات الفارابي شهرة واسعة في الغرب الاوروبي وبلا شك فإنها أسهمت في تطوير الفكرة الانسانية في عصر النهضة" {2015:129}.**

ويؤكد الاستاذ **فاروق سعد** في كتابه (**مع الفارابي والمدن الفاضلة**) أن بعضـًا مما ورد في نظريات وكتابات

الفلاسفة الأوروبيين أمثال توماس هوبز وجون لوك وجان جاك روسو وديفيد هيوم وأوغست كونت لها أصولها في كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة {ص67 – 68}.

المجتمع المثالي الفاضل كما يراه الفارابي

اعتمدنا في دراستنا لمفهوم المجتمع المثالي الفاضل عند **الفارابي** على مصدرين أساسيين لكتاب **آراء أهل المدينة الفاضلة**؛ أحدهما (**المدينة الفاضلة للفارابي**) للدكتور **عبدالواحد علي وافي** استاذ في علم الاجتماع. والكتاب صادر عن نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع دون ذكر سنة طباعته ونشره. وثانيهما (**أبو نصر الفارابي** كتاب **آراء اهل المدينة الفاضلة**) للدكتور **البيرنصري نادر** استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية، وهو من اصدارات دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) **بيروت، لبنان** الطبعة الثانية 1968.

وكتاب (**المدينة الفاضلة**) بمنزلة رسالة علمية في الفلسفة وعلم الاجتماع السياسي لا يُعرف بالتحديد سنة تأليفها ولكن في الغالب أن **الفارابي** كتبها في حوالي عام 943 ميلادية كما سبقت الإشارة الى ذلك.

وتنقسم هذه الرسالة العلمية على قسمين رئيسين هما: القسم الفلسفي والقسم السياسي الاجتماعي.

أولاً: القسم الفلسفي:

يشمل هذا القسم التصور النظري والبنية الفكرية والفلسفية لمدينة الفارابي الفاضلة. ويحتوي على خمس وعشرين فقرة من أصل سبع وثلاثين فقرة التي تكون القسم الأول في هذا القسم يلخص **الفارابي** المبادئ الاساسية التي يعتقدها والتي يعتقد أن أهل المدينة الفاضلة يعتقدونها. وقد أفرد الفارابي الفقرات التسع الأولى في (الموجود الأول) وهو الله سبحانه وتعالى:

- **فهو الموجود الاول وهو السبب الاول لوجود سائر الموجودات كلها، وهو بريئ من جميع انحاء النقص.**
- **فوجوده أفضل الوجود وأقدم الوجود، ولا**

يمكن أن يكون وجود أفضل ولا أقدم من وجوده، وهو من فضيلة الوجود في أعلى انحائه ومن كمال الوجود في أقدم المراتب. ولذلك لا يمكن ان يشوب وجوده وجوهره عدم أصلاً.

- فلهذا هو أزلي، دائم الوجود بجوهره وذاته، من غير ان يكون به حاجة في أن يكون أزليًا إلى شيء آخر يمد بقاءه، بل هو بجوهره كاف في بقائه ودوام وجوده.

- فإنه ليس بمادة، ولا قوامه في مادة ولا في موضوع أصلاً، بل وجود خلو من كل مادة ومن كل موضوع.

- وهو مباين بجوهره لكل ما سواه، ولا يمكن ان يكون الوجود الذي له لشيء سواه.

- وأيضًا لا يمكن أن يكون له ضد، وذلك يتبين

إذا عرف معنى الضد. فإن الضد مباين للشيء، فلا يمكن أن يكون ضد الشيء هو الشيء أصلاً.

- وهو في نهاية الكمال، ولكن لضعف قوى عقولنا نحن ولملابستها المادة والعدم، يعتاص إدراكه، ويعسر علينا تصوره، ونضعف من أن نعقله على ما هو عليه وجوده. فإن إفراط كماله يبهرنا، فلا نقوى على تصوره على التمام.

- بل هو في نفسه على غاية ما يكون من الظهور والاستنارة، ولكن كماله، بما هو نور، يبهر الأبصار فتحار الأبصار عنه.

- ولكن اذهاننا وقوى عقولنا ممتنعة، لضعفها وبعدها عن جوهر ذلك الشيء في أن نتصوره على التمام وعلى ما هو عليه من كمال الوجود.

كما تحدث الفارابي عن أنه تعالى عالم وحكيم، انه

حق وحي. كما تحدث في عظمته وجلاله ومجده.

{انظر نادر: 1968: 37–54}

أمـا الفقـرات السـت عشـرة الأخيـرة فتبحـث في الموجودات والثواني ومراتبها وحالاتها وصلتها بالموجود الأول وصلتها ببعضها البعض. وهذه الموجودات تنقسم على قسمين: موجودات روحية وموجودات مادية. ويرى الدكتور **وافي** أن آراء **الفارابي** عن الموجود الأول، وهو الله سبحانه وتعالى. **"تتفق كل الاتفاق مع مبادئ الاسلام وما يقرره في صدد الذات العلية وصفاتها، وتنم على قوة إيمان الفارابي وسلامة عقيدته وصفائها وتجردها من شوائب الزيغ والانحراف" {ص23}**. أما في حديثه عن الموجودات الثواني فهي في رأي الدكتور **وافي** متأثرة بالمدرسة الأفلاطونية الحديثة التي كان يتزعمها الفيلسوف الاغريقي **أفلوطين** في القرن الثاني قبل الميلاد والتي تعتقد بوجود

أرواح و عقول تفيض من ذات الله سبحانه وتعالى **"حتى لتحسب أن صاحب هذه الآراء شخص آخر غير شخص الآراء المدونة في الفقرات التسع الأولى من هذا القسم من مؤلفه في صدد الله تعالى وصفاته وكماله" {ص24}**.

وما أشار إليه الدكتور **وافي** حول تأثر الفارابي بالأفلاطونية الحديثة يؤكده الدكتور **البير نصري نادر في** حديثه عن الفلسفة الفيضية عند **الفارابي** عندما يقرر ان **الفارابي** قد وجد:

في هذا النظام الفيضي حلاً منطقياً لجميع المسائل التي يثيرها الوحي، ويتأمل فيها المفكر وأهمها مسألة: مصدر العالم، طبيعة الله، مصدر النفس البشرية ومصيرها، النبوة، والأسس التي يجب أن تشيد عليها المدينة الفاضلة {ص:17}.

كما يرى الدكتور نادر أن الفارابي يشيد فلسفته على

هـذه البديهـة العقليـة، وهـي إننـا نسـتنتج حتمـاً مـن وجـود الكائنات الحادثـة، الممكنـة وجـود كـائن واجـب الوجـود، موجـود بذاتـه، وجـوده علـة وجـود بـاقي الكائنـات، إذ يستحيل التسلسل في مجموعة الكائنات الحادثـة، وإلا لمـا وجد شيء. {ص:18}.

ويستطرد الدكتور **نادر** في الحديث عن الفلسفة الفيضية وعن (الحقائق الأزلية) عند **الفارابي** وربطها بالعقل الفعال. إلا أنـه يـرى أن النتـائج المنطقيـة التـي انتهـت إليهـا الفلسـفة الفيضـية "**لا تتفـق والشـرع**" "**ولـم تـرق للمـدافعين عـن العقيدة، لذلك كفروا من قال بالفيض وبنتائجه**" **{ص:22}**.

أما الأستاذ **فاروق سعد** فيرى في نظرية الفيض

محاولة تسوية وتوفيق بين الدين والفلسفة، فهـي من جهة تأخذ بالقاعدة الدينية في أن الله هـو الـذي

خلق العالم، ومن جهة ثانية تضيف بأن العالم أخذ يفيض من الله منذ كان الله، أي منذ الأزل. فميزت بين القديم بالذات وبين القديم بالزمان معتبرة أن وجود الله سبب لوجود العالم وأنه إله سابق على العالم بالسبب الضرورة لا بالزمن {1981:49 – 50}.

وحول هذا الموضوع المثير للجدل يورد الاستاذ **فاروق سعد** خلاصة لما يراه الاستاذ **روجيه أرنالديز** في بحثه الموسوم (**ما وراء الطبيعة والسياسة في فلسفة الفارابي**) رداً على أقوال من يرون في طروحات **الفارابي** الفلسفية خروجاً عن المعتقد الديني الإسلامي في قوله:

لا يجوز أتهام الفارابي بوصفه الميتافيزيقيا فوق الوحي، قبل كل شيء لأنه ينسجم كل الانسجام مع روح القرآن، حيث الله يُعلم الناس بإلحاح بأنه

انزل الكتاب هدىً للناس، مع كل ما يحتاجون الى معرفته والمعروض بصورة واضحة وصريحة. والوحي الالهي ليس علم الكائنات الميتافيزيقي. إنه شريعة وهو ليس تخميناً مجرداً وإنما هو دليل محسوس {56 –57}.

ومع كل ذلك فإن الدكتور **نادر** يعتقد أن كتاب (آراء **أهل المدينة الفاضلة)**

على صغر حجمه، يعتبر مجموعة لأهم المسائل الفلسفية والسياسية والاجتماعية والاخلاقية. وقام فيما بعد ابن سينا، الذي تتلمذ للفارابي عن طريق مؤلفاته، بعرض أوفى وأوسع لهذه المسائل، وجمعها بتوسع في مؤلفه الضخم (الشفاء) الذي لخصه فيما بعد في كتاب (النجاة) {ص: 18}.

ثانياً: القسم السياسي - الاجتماعي

تُعَدُّ المفاهيم الفلسفية التي تحدثنا عنها في القسم الاول من كتاب **آراء أهل المدينة الفاضلة**، بمنزلة الدليل النظري الفكري والفلسفي لبناء المجتمع النموذجي الفاضل الذي يتوق **الفارابي** الى تحقيقه في المجتمع الانساني.

أما القسم الثاني الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن فيشتمل على اثنتي عشرة فقرة تبدأ بالقول **"في احتياج الانسان الى الاجتماع والتعاون" وتنتهي بالقول "في المدن الجاهلية"**.

ويقرر **الفارابي** منذ البداية عدم استطاعة كل انسان العيش بمفرده؛ وإنه بحاجة الى غيره حتى يعيش الحياة الإنسانية الكريمة كما ارادها الله له. هذه في الحياة الطبيعية للإنسان فكيف إذا كان يهدف إلى بناء نظام اجتماعي يتحقق فيه الكمال التام والسعادة الحقيقية. فهذه لن تتحقق

إلا بوعي كامل بقيم الفضيلة وبمستوى عالٍ من التفاهم والتعاون المشترك. يقول الفارابي في كتابه:

وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج، في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته، إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها وحده، بل يحتاج الى قوم يقوم كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه. وكل واحد من كل واحد بهذه الحال. فلذلك لا يمكن أن يكون الانسان ينال الكمال، الذي لأجله جعلت الفطرة الطبيعية، إلا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه، فيجتمع مما يقوم به جملة الجماعة لكل واحد، جميع ما يحتاج إليه في قوامه وفي أن يبلغ الكمال {نادر: 117:1968}.

ويعتقد **الفارابي** أن تحقيق الغايات النبيلة لا يمكن أن تتم إلا من خلال وسائل نبيلة ومن خلال أفراد أفاضل تتمثل فيهم مبادئ وقيم المدينة الفاضلة والمجتمع المثالي بهم ولهم يتحقق الكمال التام وتتحقق السعادة الحقيقية. يقول **كرومانغاليغا** و**آزيربايف** في بحثهما المشترك **(المدينة الفاضلة وأهميتها المعاصرة)**

> **أن المفهوم الأساسي عند الفارابي في أطروحته السياسية – الاجتماعية هي السعادة هي هدف الوجود الانساني. وهي مسؤولية الدولة في توفير شروط تحقيقها. وتبرز أعماله كم هو مهم موضوع السعادة، كم هومهم الى طموح الانسان في القيم والفكرة؛ وأن طريق الكمال هو طريق تحقيق السعادة {92: 2016}.**

أن المعرفة العقلية تشكل جوهر الفلسفة الفارابية التي

تقود أهل المدينة الفاضلة الى الكمال التام والى السعادة الحقيقية. والمواطن الفاضل هو الذي يكرس كل نشاطاته التعاونية الفكرية والمادية من أجل الصالح العام للمجتمع في أوسع مدياته. هنا يجد الانسان كماله التام وسعادته الحقيقية. لذلك فإن السعادة عند **الفارابي** كما يرى الدكتور وافي **"لا ينالها الانسان إلا بالتعاون وخاصة التعاون الفكري"** {ص37}.

وفي رسالته هذه يشبه الفارابي المجتمع الانساني بالجسد الانساني؛ وأن بناء المدينة الفاضلة شبيه ببناء الجسد الانساني السليم. فالقلب هو العضو الرئيس في جسد الانسان وهو بمنزلة العضو الرئيس في المدينة الفاضلة. الاعضاء الثانوية في الجسد تقوم بوظيفة أهالي المدينة الفاضلة. كل عضو ثانوي يقوم بوظيفة مساعدة في الجسد يحيي ويكتمل بكامل عافيته. وفي المدينة الفاضلة

يقوم كل فرد بوظيفته لمساعدة العضو الرئيس في أداء مهمته لجعل المدينة في مرتبة الكمال التام. وجعل أهالي المدينة في منتهى السعادة. إلا أن **الفارابي** يستدرك قائلاً:

غير أن أعضاء البدن طبيعية. وأجزاء المدينة؛ وأن كانوا طبيعيين؛ فإن الهيئات والملكات التي يفعلون بها افعالهم للمدينة ليست طبيعية بل إرادية. على أن أجزاء المدن مفطورون بالطبع بفطر متفاضله، يصلح بها إنسان لإنسان، لشيء دون شيء. غير أنهم ليسوا أجزاء المدينة بالفطر التي لهم وحدها، بل بالملكات الارادية التي تحصل لها، وهي الصناعات – وما شاكلها {نادر:119}

ويقسم **الفارابي** المجتمع الفاضل المثالي على فئات ثلاث: العظمى والوسطى والصغرى. أما العظمى فهي المجتمع الفاضل الذي يتكون من أمم فاضلة متعاونة

تحت ادارة دولة عالمية واحدة. وأما الوسطى فهي المجتمع الفاضل الذي يضم مدناً فاضلة لتكوين دولة وطنية واحدة. والمجتمع الفاضل الصغير هو الذي يضم أهالي أفاضل لتكوين مدينة/ دولة موحدة فاضلة. ويقول في هذا الصدد:

فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة، هي المدينة الفاضلة. والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة هي الامة الفاضلة. وكذلك المعمورة الفاضلة هي إنما تكون إذا كانت الأمم التي فيها تتعاون على بلوغ السعادة {نادر: 1968 :118}

وفي الوقت الذي يتحدث فيه **الفارابي** عن المجتمعات الانسانية الكاملة تمامًا، فإنه في ذات الوقت يعرج على الحديث عن المجتمعات الأقل كمالاً وهي مجتمعات أهل القرية الواحدة وأهل المحلة الواحدة وأهل المنزل الواحد.

والفارابي إذ يتحدث في كتابه عن الثلاث الفئات من المجتمعات الكاملة الفاضلة ألا وهي المجتمع العالمي والمجتمع الوطني ومجتمع المدينة؛ إلا أنه يبدو أكثر واقعية عندما أعطى جل اهتمامه لمجتمع المدينة ظنًا منه أن مجتمع المدينة أكثر قربًا للتحقيق من المجتمع العالمي أو الوطني. لقد أدرك **الفارابي** ربما صعوبة قيام المجتمع العالمي الفاضل وكذا مجتمع الأمة؛ لذلك فضل دولة المدينة الفاضلة بوصفه خيارًا واقعيًا. ويعتقد الدكتور **وافي** أن تجاهل الفارابي للخيارين الاول والثاني يعود لأمرين في نظر **الفارابي**:

1- أنه رأى أن اجتماع العالم على الصورة التي ذكرها هو اجتماع مثالي ولكنه متعذر التحقق.

2- أن المدينة هي الخلية الاولى للمجتمعات الكاملة، فبصلاحها تصلح هذه المجتمعات

وبفسادها يعتريها الفساد {ص39}.

كما يلاحظ الدكتور **علي وافي** أن **الفارابي** أول من قال بفكرة المجتمع العالمي الواحد؛ إذ لم يسبقه الى ذلك أحد من فلاسفة الاغريق

بل لم يخطر ببال فلاسفة اليونان، الذي اغترف من فلسفتهم ونظرياتهم كأفلاطون وأرسطو. ولعل ذلك يرجع الى تأثره بتعاليم دينه. إذ أن الاسلام يهدف الى اخضاع العالم كله لحكومة الخليفة. أما فلاسفة اليونان فلم يكن عندهم تلك الفكرة، بل أن أكبر مجتمع فكروا فيه ووقعت عليهم مشاهداتهم كان المدينة أو الجمهورية {ص 39}.

ويورد الاستاذ **فاروق سعد** في كتابه **مع الفارابي والمدن الفاضلة** آراء بعض الباحثين في أن **الفارابي** لم يكن يحاول تقليد أفلاطون بعيداً عن الحياة والتجربة التي عاشها كما

هو رأي الدكتور **جميل صليبا** في كتابه من **أفلاطون إلى ابن سينا** وكذا الأب **يوحنا خمير** في كتابه **الفارابي** ضمن سلسلة فلاسفة العرب وكما هو في بحث الاستاذ سليم **طه التكريتي** الحكم **الصالح في نظر الفارابي** ولكنه أراد

أن يستخلص من وقائع الحياة التي خبرها بنفسه ولاسيما واقع المجتمع الاسلامي سواء في بلاده التركمستان أم في بغداد ودمشق ومصر وغيرها، وما خبره من أحوال الحاكمين والمحكومين في هذه الأمصار، وما لمسه من الفساد العميم المتفشي آنذاك في كل ناحية من نواحي المجتمع الاسلامي على اختلاف أقطاره، أراد أن يستخلص من ذلك كله أولاً ومن دراساته الفلسفية ثانياً، نظاماً نموذجياً يحقق السعادة للبشر قاطبة ويوطد سبل التآخي والتعاون الحر

الفعال بين أفراد المجتمع الواحد وعلى نطاق المجتمعات المتباينة {ص66}.

وفي نفس السياق يرى **آكمد ماكاريمباغ** أن في العالم المثالي في المدينة **الفاضلة** للفارابي شبهاً بشكل أو بآخر لمملكة **الله** وليس لعالم البشرية. ويقول في بحثه (تصور للمدينة المثالية: مقدمة لفلسفة الفارابي السياسية) أن هذه المدينة المثالية ربما تكون مملكة الله وان السعادة الحقيقية تتحق فقط في حكم الله. هذا يجعل من السعادة هدف غير واقعي للبشر. لذلك فإن السعادة بالنسبة للإنسان ستظل أمنية وليست حقيقة تامة. إذ أن الحاكم إذا لم يستطع أن يكون كالموجود الأول وإذا كان الملك – الفيلسوف لا يمكن ان يوجد في العالم الواقعي إذن فإن السعادة لا يمكن أن يحققها الانسان {2013: 19 – 20}.

ويسمي **الفارابي** حاكم المدينة الفاضلة **العضو الرئيس**

وهو الامام وهو الرئيس الاول للمدينة الفاضلة. وهو الذي يتمتع بصفات فكرية فطرية متميزة وبسلوك فاضل قل ما توجد هذه الصفات والقدرات في شخص سواه. ويمكن تلخيصها في الآتي أن يكون:

- تام الأعضاء. جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له. جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه. جيد الفطنة، ذكيـًا. حسن العبارة، يواتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانة تامة. محبـًا للتعليم والاستفادة، منقاداً له، سهل القبول. غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح. محبـًا للصدق وأهله مبغضـًا للكذب وأهله. كبير النفس، محبـًا للكرامة. الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينه عنده. محبـًا بالطبع للعدل وأهله، مبغضاَ للجور

والظلـم وأهلهمـا، قـوي العزيمـة علـى الشـيء الـذي يـرى أنـه ينبغـي أن يفعـل جـوراً عليـه، ومقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس {نادر: 1968:127–129}.

غير أن **الفارابي** يعود إلى واقعيته الانسانية فيصرح بان اجتماع كل هذه الصفات في إنسان واحد أمر عسير فقلصها في عدد أقل منها: أن يكون حكيماً، عالماً حافظاً للشرائع والسنن عن السلف. لديه رؤية وقوة استنباط، وجودة إرشاد بالقول الى شرائع الأولين. أن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب.

وواضح أن بعضاً من هذه الصفات والشروط تتجاوز حدود الانسان وقدراته إذ يعتقد بعض الفلاسفة والمؤرخين ان **الفارابي** قد تأثر ببعض الاتجاهات الافلاطونية الحديثة وبعض الافكار الصوفية في الاسلام.

وتعليقـًا على ذلك يقول الدكتور **وافي**:

ومـن هـذا يظهـر ان المدينـة الفاضـلة التـي اقـام الفارابي قواعدها في كتابه هي مدينة يرأسها إنسان لا تقل منزلته كثيراً عـن منزلـة الأنبيـاء والملائكـة ويتألف أفرادها من قديسين. ومدينة كهذه لا يتاح وجود مثلها في عالمنا الدنيوي. {ص33}.

ويؤكد **الفارابي** على صفة الحكمة إذ بغيابها في **العضو الرئيس** تفقد المدينة الفاضلة وجودها فيقول:

فمتى اتفق في وقت ما أن لـم تكـن الحكمـة جـزء الرئاسة وكانت فيها سائر الشرائط، بقيت المدينـة الفاضلة بلا ملك، وكأن الرئيس القـائم بـأمر هـذه المدينـة لـيس بملـك. وكانـت المدينـة تعـرض للهـلاك. فـإن لـم يتفـق أن يوجـد حكـيم تضـاف

الحكمة إليه لم تلبث المدينة بعد مدة أن تهلك.

{نادر:1968: 130}

وإذا كان الكثير من العلماء والنقاد يرون تأثر **الفارابي** **بأفلاطون** و**جمهوريته** واضح جلي في **المدينة الفاضلة**؛ إلا انهم يعزون بعض الشروط والصفات المثالية التي يفترض توفرها في **العضو الرئيس** تنطلق من إيمانه الديني بوصفه مسلمًا. وهنا يقرر الدكتور وافي قائلاً:

هذا ويلاحظ أن الشرط الروحي قد انفرد الفارابي باشتراطه في رئيس المدينة الفاضلة دون فلاسفة اليونان الذين اغترف فلسفته من معينهم؛ فلم يرد لمثل هذا الشرط ذكر في جمهورية أفلاطون التي أعتمد عليها الفارابي اعتماداً كبيراً. ويظهر أنه أستخدم هذا الشرط مما فهمه عن روح الدين الاسلامي وما سار عليه العمل في صدر الاسلام

إذ تولى الرياسة الرسول عليه السلام ومن بعد خلفاؤه الراشدين الذين وصلت نفوسهم إلى أرقى درجات الصفاء والكمال. {ص 67}

وفي نفس السياق تؤكد الباحثة **مريام جاهرومي** في بحثها هدف **وغاية المجتمع في فلسفة الفارابي السياسية** هذه الصفة الدينية والروحية بالقول "**أن الفارابي يعتقد أن الحاكم يمتلك موهبة نظرية وفطرية، ويتمتع بقوة الارادة وحاكم يمكن أن يتلقى النعمة الإلهية" {2015: 74}**.

وفي الحديث عن المدينة المثالية الفاضلة وعن **العضو الرئيس** فيها وعن مواطنيها الأفاضل؛ لم يغب عن **الفارابي** الحديث عن المدن المضادة للمدينة الفاضلة إذ "بضدها تتميز الأشياء" فيقول: "**والمدينة الفاضلة تضادها المدينة الجاهلية والمدينة الفاسقة، والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة. ويضادها أيضاً الناس نوائب**

المـدن" {نـادر:1968 :131}. ويقصـد بنوائـب المـدن، المدن غير الفاضلة التي تنوب عـن المـدن الفاضـلة وتحـل محلها. ويعرف الفارابي المدينة الجاهلية أو الجاهلة، بأنها تلك **"التي لم يعرف أهلها السعادة ولا خطرت ببالهم. وإن ارشدوا إليها فلـم يفهموهـا ولـم يعتقـدوها" {نـادر:131}**. وحكام هذه المدن الجاهلة مثلهم مثل سكانها ليس لـديهم الرغبـة ولا الارادة لنيـل السـعادة الروحيـة التـي يمكـن أن تتحقـق مـن خـلال جبلـة الخيـر وقـيم الفضـيلة والعدالـة، اهتمامهم الاساس يكمن في السعادة الدنيوية، وهـي في كـل الاحـوال ليسـت سـعادة بـل متعـة. والمدينـة الفاسـقة هـي المدينة التي تدرك عقولها مدركات المدينة الفاضلة، إلا أن **"أفعال أهلها كأفعال أهل المدينة الجاهلة. ومـن ثـم أطلـق عليها اسم (المدينة الفاسقة) لأن الفاسق يرتكب القبـح مـع علمه أنه قبيح ومع ادراكه للحسن الذي يقابله واعتقـاده انـه**

حسن" {وافي: 85}.

أما المدينة المتبدلة أو المبدلة كما يشرحها الدكتور وافي فهي تلك:

التي كانت آراؤها وأفعالها في عهودها الأولى مطابقة لآراء أهل المدينة الفاضلة وأفعالها، ثم انتكست واعتنقت آراء غير ما كانت تعتنقه من آراء وتوفرت على غير ما كانت تتوفر عليه من أعمال. ومن ثم سميت (المبدلة) لأنها بدلت الانحراف بالحق والخطأ بالصواب {85-86}.

وأما المدينة الضالة فيصفها الدكتور **وافي** بانها المدينة:

التي ترى ان السعادة وراء حياتها المادية التي تحياها، أي أنها شيء آخر غير هذه الحياة المادية، ولكن انحرف في تفكيرها مدلول السعادة عن

حقيقته، ورأت في صفات الله عز وجل وفي العقول التسعة وفي العقل الفعال آراء فاسدة لا تتفق مع حقائق هذه الأمور، سواء أخذت هذه الآراء على ظاهرها، أي أنها تعرف لصفات الله وللعقول أو أخذت على أنها مجرد تمثيل وتخييل {86}.

وغني عن البيان أن الهدف الأساسي للتعاون الإنساني، كما يرى **الفارابي**، هو تحقيق الكمال التام والسعادة الحقيقية. وهذا الهدف يسهل تحقيقه من خلال الفضائل والوسائل الانسانية النبيلة. ويرى كثير من أهل العلم أن الآراء الفلسفية **للفارابي** فيما يتعلق بالمدينة الفاضلة والمدن المضادة لها مرتبط بالفكر الصوفي الشرقي. وفي هذا يقول الدكتور **البير نصري نادر** ان **ابن سينا** يتفق مع **الفارابي** بأن:

السعادة تكون بتأمل الحقائق الأزلية في العقل

الفعال، وشقاء الأنفس الجاهلة يكون بشعورها بأنها بعيدة عن هذه الحقائق وعن مصدرها. فلا فرق جوهري بين تصوف ابن سينا وتصوف الفارابي {نادر: 21:1968}.

الخلاصة

لا شك أن كتاب **أراء أهل المدينة الفاضلة** يعد واحداً من الرسائل العلمية التي كتبت عن الأدب (اليوتوبي) أو أدب المجتمع الإنساني المثالي. ولربما تكون هذه الرسالة الثانية بعد كتاب **الجمهورية لأفلاطون**. وجدير بالملاحظة أيضاً أن **الفارابي** الذي كان كثير التأثر **بأفلاطون وجمهوريته** قد صمم **المدينة الفاضلة** بأفكار ورؤى فلسفية مثالية قريبة الشبه بالمثالية الأفلاطونية. وهو أول فيلسوف مسلم في أول القرن العاشر الميلادي الذي حاول التوفيق بين التعاليم الدينية الاسلامية والفلسفة الإغريقية. ولقد أعترف الفيلسوفان **ابن سينا** و**ابن رشد** بالإسهام الكبير الذي قدمه **الفارابي** ليس للفلسفة العربية الاسلامية فحسب ولكن للفلسفة الانسانية بشكل عام.

وكأي مفكر وفيلسوف إنساني توجب على **الفارابي** أن

يفكر بروية في مجتمع خال من الشرور والمفاسد الاجتماعية والسياسية. كان عليه أن يفكر في مجتمع مثالي تسوده روح التعاون بين أهاليه. وتسوده قيم الفضيلة والخير التي من شأنها تحقيق العدالة والمساواة والأمن والسلام وبالتالي الوصول الى مجتمع الكمال التام والسعادة الحقيقية.

لقد هدف **أفلاطون** من كتابه **الجمهورية** تحقيق المجتمع المثالي الفاضل والدولة المثالية الفاضلة بديلاً عن واقع المجتمع الأثيني الذي رأى الفساد والرذيلة يعشعشان في مفاصلة. ثم يأتي **الفارابي** لاقتفاء أثر سلفه **أفلاطون** في رسم صورة مثالية للمجتمع الانساني والمجتمع الاسلامي بالذات بعد أن سادت فيه مظاهر الفساد. وكلا الفيلسوفين كتبا بأسلوب يعتمد على تفكير مثالي هو أقرب الى الرغبة والتحليق في عالم الخيال منه الى الواقع الفعلي

للإنسان الذي يعيشه المجتمع الأثيني قبل الميلاد والذي يعيشه مجتمع الدولة العباسية. لقد فكر الفيلسوفان على إيجاد حلول وإجابات من أجل مجتمع تام الكمال والسعادة، غير أنهما حلقا عالياً في فضاءات الخيال في مجتمع مثالي يصعب تحقيقه وفي دولة مثالية يصعب تحقيقها في الواقع العملي. وعلى الرغم من إيمانهما بالمذهب العقلي؛ إلا أن الروح الانسانية التواقة الى المثل وقيم الفضيلة قادتهما إلى تجاوز قدرات الإنسان وطاقاته.

وبخلاف **أفلاطون** ومفهومه للنظام الطبقي في **أثينا** فإن فكرة **الفارابي** في بناء مجتمع مثالي فاضل تنطلق من حقيقة أن كل اعضاء المدينة متساوون في الحقوق والواجبات بغض النظر عن الوضع الاجتماعي لكل منهم. إذ أن كل عضو أو فرد في المدينة الفاضلة قادر على الإسهام إرادياً مفعماً بالأمل في الكمال التام لمدينته والسعادة الحقيقية

لكل أفرادها، كل قدر طاقته تحركه وتحفزه قيم الخير والفضيلة والعدالة والمساواة.

إن قيم الاخاء والمساواة كمبادئ جوهرية في الاسلام تبدو واضحة في تفكير **الفارابي** وتصوره في بناء مجتمعه المثالي الفاضل. فأهالي المدينة كلهم متساوون لأنهم يدركون معنى الخير والعدالة ويعملون بروح التعاون يحدوهم نقاؤهم وطهرهم واستقامتهم، كل حسب قدراته وطاقاته رجل كان أو امرأة. وحول هذه الفكرة يرى الباحث **محمود خوشناو** من **جامعة صلاح الدين – آربيل – العراق** في بحثه المنشور باللغة الإنجليزية تحت عنوان **اختلاف الفارابي عن جمهورية أفلاطون:**

إن هناك اختلافًا جذريًا بين الفارابي وأفلاطون يكمن في دور (الافراد المثاليين) أو المواطنين في بناء المدينة الفاضلة. بالنسبة لأفلاطون فإن دور

المواطنين ثانوي كما أن درجة كمالهم أقل منزلة إذا ما قورن بكمال الأوصياء (الحكماء) أو الفلاسفة. بينما عند الفارابي فإن ذلك الكمال التام مطلوب في كل مواطن في المدينة أو المجتمع كونهم يعملون بصيغة الكيان الواحد. {6: 2104}

وفي توزيعه للمجتمعات الفاضلة كفئات ثلاث كما سبق الحديث عنه؛ فإن **الفارابي** أول من امتدت بصيرته إلى المجتمع الانساني للمعمورة كلها. بمختلف أجناسها وأممها؛ إذ لم يتطرق إلى ذلك أحد من فلاسفة الاغريق القدامى قبله في كتاباتهم وطروحاتهم. ومعظم طروحاتهم الفلسفية ركزت على مجتمع المدينة، ونادراً ما تكون هناك إشارة الى مجتمع الامة الواحدة، وليس هناك إشارة البتة الى مجتمع المعمورة.

من كل ما سبق يصل المرء الى أن مدينة **الفارابي** متأثرة كثيراً بجمهورية **أفلاطون**؛ غير أن كتاب **الفارابي** له سماته الخاصة به. **الفارابي** له فلسفته المتميزة لذلك فإن المدينة **الفاضلة** رسالة علمية لها طابعها الخاص سواء في البنية الفكرية أو في أسلوب الكتابة. فلسفة **الفارابي** ليست فلسفة اغريقية محضة. صحيح أنه درس بتمعن فلسفة الاغريق وأبدع في استلهامها وشرحها ولكنه اضاف واسهم وأثرى الفلسفة الانسانية بشكل عام. وكتاباته ورسائله العلمية الكثيرة في مختلف حقول المعرفة خير شاهد على تميزه عن سابقيه. ففي كل اعماله الفكرية والفلسفية نجد بصمات الفكر الاسلامي وتعاليم الديانة الاسلامية واضحة. قد تكون فلسفته متأثرة **بالافلاطونية الجديدة** ومع ذلك يظل تأثير التصوف الاسلامي واضحاً في هذا المجال.

وإذا كان كتاب **آراء أهل المدينة الفاضلة** قد أبحر كثيراً

في ما وراء الطبيعة في قسمه الاول كما هو واضح فان ذلك يعبر عن رغبة **الفارابي** ورغبة الانسان وطموحه غير المحدود في تحقيق الكمال التام والسعادة الحقيقية في حياة الانسان؛ كما تتجاوز الروح المثالية قدرات الانسان وطاقاته المحدودة.

وأخيرًا فإن بالإمكان قراءة كتاب **آراء أهل المدينة الفاضلة** بوصفه نصًا أدبيًا متميزًا في أدب المجتمع المثالي اليوتوبي، ولكنه يظل أيضًا اطروحة فلسفية لطموح الانسان المثالي نحو حياة فاضلة نموذجية، وحافزًا أخلاقيًا للإنسانية نحو الكمال التام والسعادة الحقيقية.

المجتمع المثالي كما يراه توماس مور

مور المفكر القديس

كما وقفنا أمام شخصية أبي نصر **الفارابي** في البحث الأول لهذه الدراسة، هنا أيضـًا علينا أن نتوقف قليلاً أمام شخصية مؤلف كتاب **يوتوبيا** السير **توماس مور** الذي يعد من أعظم وأشهر مفكري **انجلترا** في القرن السادس عشر. فهو إضافة الى مكانته الفكرية والدينية فقد خاض معترك الحياة السياسية بوصفه عضوًا مؤثرًا في البرلمان الإنجليزي وهو لما يزل في العشرينيات من عمره. وشهد له تميزه في معارضة الملك **هنري السابع** الذي طلب من البرلمان زيادة في نفقات زواج ابنته من **ملك اسكتلندا**. ثم أصبح صديقـًا مقربـًا من الملك **هنري الثامن**، فيما بعد، وكانت له بصماته الواضحة في كتاب برهان **الاسرار المقدسة السبعة** الذي الفه الملك **هنري الثامن** رداً على كتاب **سجن**

الكنيسة البابلوني الذي ألفه **مارتن لوثر** زعيم الحركة البروتستانتية في **المانيا**. وربما كان لهذا الرضاء الملكي دور في ان يتقلد **توماس مور** رئاسة مجلس العموم الانجليزي في عام 1523.

غير أن هذه الصداقة لم تدم طويلاً بين الملك **هنري الثامن** والسير **توماس مور** عندما رفض الأخير الموافقة على طلب الملك لأن يكون على رأس الكنيسة في **إنجلترا**؛ باعتبار أن ذلك يعد تجاوزاً لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية. وفي خضم هذا الجدل أتهم مور بالخيانة وتم تقديمه إلى محاكمة صورية وصدر بحقه حكم الاعدام الذي تم تنفيذه في السادس من يوليو عام 1535. وقد عدّه الكاثوليك شهيداً بينما ظل في نظر **البروتستانت** المتزمتين خائناً وعدواً للكتاب المقدس. وقد وصفه صديقه العلامة والمفكر الانساني المسيحي الهولندي **ايراسموس** بأن

"روحه أنقى من الثلج وأن عبقرية كهذه لم تحظ بها إنجلترا في الماضي ولن تحظى بمثلها في المستقبل" **{الموسوعة البريطانية طبعة 2013}**. وفي عام 1935م كرمته الكنيسة الكاثوليكية التي استشهد من أجلها بمنحة لقب قديس.

وفي حقيقة الأمر لقد كان **مور** شخصية مثيرة للجدل كمفكر مسيحي ورجل أدب وسياسة؛ وأحد رواد المذهب الانساني المسيحي في إنجلترا وكان في طليعة مفكري عصره وأيقونته الثقافية.

التحق **مور بجامعة اكسفورد** في العام الميلادي 1492م وفي الفترة التي بدأت فيها **حركة المعرفة الجديدة New Learning** بالظهور والانتشار في إنجلترا. وهي الحركة التي كانت تدعو إلى إحياء التراث الكلاسيكي الاغريقي واللاتيني. وهو في هذا قريب الشبه ببداية حياة **أبي نصر**

الفارابي العلمية عندما إتجه الى مدينة الفكر والثقافة والعلوم **بغداد** ليجد ضالته في دراسة الموروث العلمي والفكري الاغريقي ويستلهمه ويصبح أحد أفضل أساتذته وشارحيه. وكان **مور** محظوظاً أيضاً في **جامعة أكسفورد** بالتعرف على عدد من علماء الدراسات الكلاسيكية الاغريقية كأساتذة ثم بعد ذلك كأصدقاء مقربين. أخذ عنهم تعلم اللغة والأدب والفلسفة الاغريقية. كما أخذ عنهم مبادئ **المذهب الانساني Humanism** الذي أصبح فيما بعد أحد أبرز رواده. وبالرغم من حداثة سنه إلا أن **مور** ربطته بهؤلاء العلماء صداقة متينة دائمة بسبب حبه واهتمامه الكبير بالأدب والفكر الفلسفي الكلاسيكي الاغريقي وبمبادئ المذهب الفلسفي الانساني.

وليس غريباً أن نجد أن هذه الاهتمامات الفكرية والفلسفية والأدبية كانت حافزاً كبيراً في التعرف على

العلامة والمفكر الهولندي **إيراسموس** الذي كان يزور إنجلترا عام 1499م. هذه المعرفة تطورت الى صداقة تعززت من خلالها مبادئ المدرسة الانسانية. وفي زيارة **إيراسموس** الثانية لإنجلترا استطاع الاثنان مشاركة من إنجاز ترجمة بعض أعمال الكاتب الاغريقي الساخر **لوكيانوس** الى اللاتينية وكان ذلك في العام الميلادي 1506م.

أما أول كتبه المؤلفة فهو كتاب **الابجرامات Epigramata** أو **المقطوعات اللاذعة** كتبه باللاتينية في عام 1505م تقريباً.

ولما كان **مور** مولعاً بكتابات الكاتب الايطالي **بيكو ديلا ميراندولا** أحد أشهر كتاب عهد النهضة والاصلاح فقد ألف سيرة حياته في كتاب باللغة الإنجليزية اسماه حياة **بيكوس الميراندولي** وكان ذلك في العام 1510م. كما ألف مور

باللاتينية كتابه تاريخ **ريتشارد الثالث** حوالي عام 1513م.

ومن أعماله الأخرى **الأشياء الأربعة الأخيرة** (1522) تقريباً و**محاورة الراحة ضد المحنة** (1534) و**صلوات** (1535).

إلا أن كتابه **يوتوبيا** الذي ألفه في المدة ما بين 1515 و1516 يظل أكثر مؤلفاته شهرة وأحد الأعمال الفلسفية المتأدبة المتميزة في أدب المجتمع الفاضل المثالي الذي لا يقل أهمية عن كتاب (**الجمهورية**) **لأفلاطون** وكتاب (**آراء أهل المدينة الفاضلة**) **للفارابي**.

يوتوبيا بين الحقيقة والخيال

كتب **مور** مؤلفه **يوتوبيا** باللغة اللاتينية وذلك ما بين عامي 1515 و1516 ميلادية. وصدرت أول ترجمة باللغة الانجليزية عام 1551 تلتها ترجمات أخرى باللغة الانجليزية في أعوام لاحقة.

وكلمة **يوتوبيا** Utopia مشتقة إما من الكلمة الاغريقية (اوتوبيا) utopia بمعنى (اللامكان) وإما مشتقة من الكلمة eutopia والتي تعني (المكان الطيب) ومهما يكن فكلا المعنيين ينطبقان على محتوى الكتاب وفحواه؛ وإن كانت عبارة (المكان الطيب) هي أقرب الى عبارة **(المدينة الفاضلة) للفارابي**.

ويتحدث كتاب **يوتوبيا** عن عالم تختفي فيه الشرور والرذائل والمفاسد الدنيوية وتسود فيه الفضائل الانسانية في العدالة والمساواة والأمن والأمان والسعادة الحقيقية التي

تنشـدها الفلسـفة الإنسـانية المتنـافي مـع العـالم الـواقعي للمؤلف: عالم الفقر والبطالة والاضطهاد والبؤس والجشع المادي للحكام وأصحاب النفوذ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المؤدي الى الصراعات والحروب.

ويقدم لنا السير **توماس مور** أفكاره وآراءه في السياسة والمجتمع مـن خـلال أسـلوب الروايـة القصصـية النثريـة Prose Fiction لمجتمـع ودولـة جزيـرة **يوتوبيا** مـدعياً الرواية انها حقيقة واقعة في عالمنا البشري.

وفي روايتـه النثريـة هـذه وفي حديثـه عـن هـذه الجزيـرة ومجتمعهـا المثـالي ودولتهـا النموذجيـة يـربط المؤلـف **توماس مور** بين حلمه في مجتمع فاضل مثالي على هذه الجزيـرة وبـين حقـائق الواقـع الفاسـد الـذي تعيشـه بـلاده إنجلترا وباقي المجتمعات والدول الأوروبية.

ويرى نقاد الأدب ومؤرخوه أن **يوتوبيا** السير **توماس**

مور عمل فلسفي كتب في قالب أدبي متميز، ووثيقة مهمة من وثائق الحركة الفلسفية الإنسانية، وهي فوق هذا وذاك صيحة احتجاج مدوية ضد المفاسد والشرور السياسية والاجتماعية في المجتمعات والدول الأوروبية في زمن **توماس مور**. وهي أيضاً دعوة من حكيم ومصلح اجتماعي للتغيير السياسي والاجتماعي من اجل تحقيق العدالة والمساواة والسلام؛ وبالتالي تحقيق المجتمع المثالي الفاضل مجتمع الكمال التام والسعادة الانسانية الحقيقية.

وقصة **يوتوبيا** تعكس أيضاً مرحلة الاكتشافات الجغرافية للعالم الجديد وكذا نمو الحركة الانسانية الفلسفية في ذلك الوقت. كما تشير أيضاً إلى واقع حياة التشرد والبطالة والأحكام الجائرة والعقوبات الوحشية بحق المُدانين. كما تشير أيضاً إلى الصراعات القائمة داخل المجتمع الأوروبي الواحد وبين المجتمعات

والحكومات الأوروبية بسبب سياسات التوسع والهيمنة والتكالب على اكتناز الثروات واحتكارها.

ويرسم لنا المؤلف صورة من الواقعية لعالمه الخيالي عندما يربط بين عالم الخيال لجزيرته الفاضلة وبين الاشارة الى بعض الشخصيات التاريخية الحقيقية في حياته، مثل شخصية **كتبرث تنستول** صديق وزميل رحلته الى مدينة **أنتورب** في هولندا مبعوثين رسميين من قبل ملك أنجلترا لتسوية بعض الامور الشائكة العامة مع حكومة هولندا. وكذا شخصية **بيترغـايلز** الهولندي وصديق المؤلف الذي قابله في مدينة **أنتورب**.

كما أن الرواية تضمنت شخصية تدعى **مور** وهي تمثل شخصية **توماس مور** الواقعية مقابل شخصية **رافائيل هيثلوداي** الفيلسوف والعلامة التي تجسد شخصية **توماس مور** غير الواقعية. وحتى يعطيه المؤلف نوعاً من الحقيقة

التاريخية فقد أعطاه جنسية أحد البرتغاليين الذين رافقوا **امريكوفسبونشي** الرحالة والمستكشف البرتغالي. وشخصية **رافائيل هيثلوداي** تجسد الجانب الثاني من شخصية **توماس مور** المفكر والفيلسوف الانساني المثالي التواق الى مجتمع مثالي فاضل ودولة مثالية فاضلة. وكلاهما **هيثلوداي** المحاور الاساسي في الرواية و**توماس مور** المؤلف يمثلان المبادئ والتوجهات الانسانية. وكلاهما يمتلكان قدراً وافياً من العلم والمعارف وحباً للغة والآداب والفلسفة الاغريقية.

وبذلك يضعنا المؤلف منذ بداية قصته الخيالية أمام وقائع وشخصيات حقيقية في زمانه حتى يعطي لهذه القصة بعداً واقعياً. ولقد أبدع المؤلف في تقديم طروحاته الفلسفية في علوم السياسة والمجتمع باختيار هذا الفن القصصي الخيالي.

وتنقسم الرواية الى كتابين أحدهما يعني بوصف لجزيرة **يوتوبيا** والذي يمكن عَدَّهُ مدخلاً للكتاب الثاني الذي يكرس لوصف ملامح المجتمع اليوتوبي والدولة اليوتوبية.

الكتاب الأول

يشكل الكتاب الاول كما أشرنا آنفاً مدخلاً فلسفياً للكتاب الثاني من الرواية. وفيه يقدم لنا المؤلف شخصية **مور** الذي يمثل الشخصية الثانية في الرواية أمام الشخصية الاساسية **رافائيل هيثلوداي**. وهنا يبدأ بسرد بعض الحوادث التاريخية الحقيقية في زمن توماس مور. وينقلنا إلى مدينة **أنتورب** الهولندية إذ يلتقي بشخصية **بيترغايلز** الذي يصفه بأنه:

> **رجل يتمتع بسمعة طيبة في بلده ويختار للمناصب العليا، ويستحق بحق أرفعها.. وهو يتسم بالفضائل الرائعة، كما يتسم بالعلم الغزير {95/9}**[1]

---

(1) هنا سنعتمد على ترجمة الدكتورة أنجيل بطرس سمعان في اقتباساتنا من **يوتوبيا** والرقم الأول يشير الى الصفحة في النص الإنجليزي أما الرقم الثاني فيشير الى الصفحة في النص المترجم.

وبـدوره يقـدم **بيترغـايلز** الـى **مـور** شخصـية **رافائيـل هيثلوداي** قائلاً:

فلا يوجد هناك شخص آخر يستطيع أن يحدثك اليـوم عـن كـل هـذا العـدد الكبيـر مـن الشـعوب والبلاد المجهولة مثلما يستطيع هذا الرجل. وأنـا اعرف تمام المعرفة أنـك شـديد الرغبـة في سـماع مثل هذه الاشياء {91/15}.

بهذه الطريقة وبهذا الاسلوب بدأ المؤلف **تومـاس مـور** روايته القصصية النثرية ليقدم الى القارئ الشخصية الرئيسة في هذه الرواية، وكذا المجتمع المثالي في جزيـرة **يوتوبيـا**. يقـدم **هيثلـوداي** كمتحـدث رئـيس وكمحـاور أساسـي في المنـاظرات الفلسـفية التـي سـتتخلل الروايـة السـردية. وكرجل صاحب تجربة جاب العالم تطوافًا وبحثًا عن كل جديد في حياة الشعوب والدول التي وصل إليها.

وكعمل روائي نثري فلسفي، بخلاف رسالة **الفارابي** الفلسفية المدينة **الفاضلة** فإن السير **توماس مور** في روايته **يوتوبيا** قد اشتق اسم **هيثلوداي** من الكلمة الاغريقية **نوثلوس Nuthlos** والتي تعني (هراء أو سفاسف) وقد أشارت الدكتورة **انجيل بطرس سمعان** في ترجمتها للرواية إلى أن كلمة **هيثلوداي "معناها الضليع في التفاهات" أو"العالم بلغو الكلام" {92:1974}**.

والمدينة الرئيسة في جزيرة **يوتوبيا** تسمى **أماورات** وتعني مدينة الأشباح. والنهر الذي تقع عليه هذه المدينة يسمى **أنايدر** والذي يعني "النهر الذي ليس فيه ماء". وهكذا معظم الأسماء الخيالية في الجزيرة والمدينة. وواضح أن المؤلف من خلال ايراد هذه الاسماء الخيالية يريد أن يوصل القارئ الى حقيقة أن هذه القصة ليس لها وجود في الواقع وأنها تعني اللاشيء. وهو يؤكد أن عمله

الفلسفي الأدبي هذا يتعامل مع الخيال وأن **يوتوبيا** هي مجتمع الخيال أكثر مما هي مجتمع مثالي فاضل حقيقي. وإنما هي رغبة الفيلسوف وتطلعه الى مثل هذه المجتمعات وهذه الدول.

ولكون **رافائيل هيثلوداي** فيلسوفا وحكيماً وصاحب تجربة غنية في واقع الحياة الاجتماعية والسياسية فلقد وجد فيه **مور** ضالته في أن يستفيد من تجربته هذه ومن غزارة علمه وحكمته. فنجده يوجه اليه السؤال تلو السؤال ليزداد علماً ومعرفة. بل أننا نراه يسأله سؤالاً مباشراً فيم لا يوظف معارفه هذه وتجربته العلمية الغنية في خدمة البلاط الملكي كمستشار مثلاً. غير أن هيثلوداي يجيبه قائلاً:

يفضل معظم الملوك تقريباً أن يشغلوا أنفسهم بأعمال الحرب والفروسية (وهذه أمور لا تتوفر لي معرفتها ولا أرغب فيها) أكثر مما ينشغلون

بأعمال السلم الشريفة، ويهتمون بدرجة أكبر بكثير بالتوصل، بطريقة أو أخرى، الى الفوز بممالك جديدة سواء كان ذلك بالحق أو بالباطل، عما يهتمون بأن يحكموا بالعدل تلك الممالك التي يملكونها بالفعل {98/15}.

كما يؤكد **هيثلوداي** أنه لن يجعل من نفسه مستعبداً لأي ملك كان.

اسئلة **مور** وإجابات **هيثلوداي** هذه فتحت الأبواب مشرعة لحوار فلسفي في شؤون السياسة والمجتمع والفساد الذي يسود أروقة الحكم في الدول الأوروبية.

ولهذا فإن **هيثلوداي** ومن خلفه **توماس مور** يضع منذ البدء قضية الفساد والحكام الفاسدين الذين لاهم لهم إلا أنفسهم ومصالحهم الخاصة، ولو على حساب المصلحة العامة لشعوبهم. كما لا يهمهم بالمقابل رجال الفكر

والحكمة لأنهم يرون فيهم خطراً عليهم وعلى مصالحهم الضيقة. اهتمامهم في المقام الاول مصالحهم الشخصية وجمع الثروة. ونادراً ما يقبلون برأي يتعارض مع رغباتهم ومصالحهم وأهوائهم ونزواتهم.

إن اكتناز الذهب والفضة من خلال الصراعات والحروب التي يفتعلونها والاصرار على اتباع نظام **الملكية الخاصة** Private Property **ونظام الامتلاكية** Landlordism هي ديدنهم وهي في الواقع مفسدة وأي مفسدة تقود إلى الانهيار الاخلاقي في المجتمع.

هذه المفاسد والشرور الاجتماعية والسياسية وهذه المفاسد الأخلاقية المشارة في الكتاب الأول من هذه الرواية النثرية هي في الواقع مقدمة لتقديم النموذج (اليوتوبي) البديل للمجتمع الفاضل والدولة النموذجية الفاضلة في الكتاب الثاني.

ويأخذنا الحوار الفلسفي في الكتاب الاول في نفس الاتجاه ليقودنا الى قضايا أكثر تفصيلاً؛ منها عقوبات التعذيب الوحشي حتى الموت التي لا تمت الى روح الانسانية بصلة وبالذات في جريمة السرقة التي تسببت في انتشارها البطالة والفقر نتيجة نظام الملكية الخاصة ونظام الامتلاكية الذي أدى بدوره الى وجود نظام اجتماعي وسياسي طبقي اضطهادي تنعدم فيه معايير العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد.

ثم يطرح **هيثلوداي** مسألة الصراعات والحروب كقضية أخرى للجدل والحوار مؤكداً أن هذه الصراعات والحروب ليس لها هدف غير مطامع الملوك الشخصية وكبار ملاك الأراضي. بهدف توسيع رقعة نفوذهم الاقتصادي والسياسي وتنمية ثرواتهم.

وواضح هنا من خلال الحوار بين **مور** و**هيثلوداي**

حضور شخصية المؤلف **توماس مور**؛ فشخصية **هيثلوداي** تجسد الجانب التأملي أما شخصية **مور** فإنها تجسد الجانب العملي لدى المؤلف. ومن خلالها يثير المؤلف الموضوع الفلسفي الشائك للخير والفضيلة من جهة.. والشرور والرذيلة من جهة أخرى. و **مور** العملي هنا يطرح على **هيثلوداي** ما أشار اليه الفيلسوف الاغريقي **أفلاطون** في **"أن الدول لن تتحقق لها السعادة في نهاية الأمر إن لم يصبح الفلاسفة ملوكًا، أو يقبل الملوك على دراسة الفلسفة فما أبعد هذه السعادة إن لم يتنازل الفلاسفة ولو بتقديم المشورة للملوك"**. فيجيبه مور التأملي هيثلوداي أن الفلاسفة ليسوا بهذه الغلظة:

> **بحيث لا يقدمون المشورة بكل سرور. والواقع ان كثيرين منهم قد قاموا بذلك بالفعل بالكتب التي نشروها، لو كان الحكام على استعداد لتقبل**

مشـورتهم السـديدة. ولكـن ممـا لاشـك فيـه أن أفلاطون قد أدرك مقـدمًا أنـه مـالم يتجـه الملـوك أنفسـهم الـى دراسـة الفلسـفة فلـن يقـروا مطلقـًا مشـورة الفلاسـفة الحقيقيـين لأنهـم قـد تشـبعوا وأُفسِدوا بالأفكار الخاطئة. {41/121-122}.

ويخلـص **هيثلـوداي** مـن حديثـه عـن الفضـيلة: **أن هـذه الفلسفة المدرسية لا تخلو من سحر في الأحاديث الخاصـة بـين الاصـدقاء المقـربين. أمـا في مجـالس الملـوك، حيـث تناقش الأمور الكبيرة بثقة عظيمة، فليس لمثل هذه الأفكـار مكان** ثم يضيف **"هذا بالتحديد ما رميت إليـه عنـدما قلـت أن ليس للفلسفة مكان لدى الحكام" {51/130}.**

هذه النتيجة تؤكد موقـف هيثلـوداي مـن رفـض العمـل مستشـارًا في البلاطـات الملكيـة لملـوك طغـاة مسـتبدين جشعين لأنهـم لا يعرفـون معنـى الحكمـة ولا معنـى الخيـر

والفضيلة. ويعلق **برنارد برادشو في بحثه يوتوبيا مور** بالقول أن هيثلوداي "**يجسد موقف أفلاطون... لأنه لا يرى مكانًا للأخلاق ولا للعقل، حيث الحكومات تتجه نحو أهداف سياسية ومصالح شخصية في السلطة والنفوذ والثروة**" **{22:1981}**. وهنا نجد بوضوح أعجاب السير **توماس مور** الكبير بفلسفة **أفلاطون** المثالية وتأثير **الجمهورية** على **يوتوبيا** بشكل جلي.

وبوصفه مفكرًا كاثوليكيًا أيضًا مخلصًا لعقيدته فإن **توماس مور** يعتقد بأن الدين يلعب دوراً مهمًا في الكمالية التامة والسعادة الحقيقية للفرد والمجتمع. كما يرى أن الفلسفة التي تسعى أيضًا الى خير الانسان وسعادته هي قريب من التعاليم الدينية المسيحية. وهذا ما يؤكده **هيثلوداي** بقوله في حواره مع جلسائه وفي مقدمتهم بالطبع مور:

حقًا لو تخلينا عن جميع تلك الأشياء التي

جعلتها أخلاق الناس المنحرفة تبدو غريبة، لأنها غير مألوفة ومضحكة، لتحتم علينا أن نتجاهل تعاليم المسيح تقريباً. ولكنه منعنا من ان نتجاهلها (أو أن نغمض العين عليها) بل أمرنا بأن ما أسر به تلاميذه، يجب أن ينادى به من أسطح المنازل {132/53}.

هذا الطرح يبين بكل وضوح الاعتقاد الجازم في الدور المهم للديانات السماوية فيما يتعلق بكمالية الانسان وسعادته. وترى الدكتورة **ميلدريدويث كوديل** في بحثها الموسوم **يوتوبيا مور: الاصول والأهداف** أن:

العقيدة المسيحية ترفض فكرة أن الانسان قد يصبح كاملاً. فقط الرب هو الكامل. غير أن هذا الافتراض لا يعفي الانسان من واجبه في الاجتهاد في طلب الكمال الذي يتفرد به الرب. وكان مور

فـوق هـذا وذاك وكمسـيحي مخلصـًا وممـثلاً للتعاليم المسيحية النبيلة {168:1970}.

ومـن الأمـور المهمـة الجوهريـة التـي يثيرهـا السـير **توماس مور** قضية الملكية الخاصة باعتبارها بذرة شريرة في حياة بني البشر تعطل سعي الانسان نحو النقاء والطهر والسـعادة. ويعتقـد أن الإنسـان لا يسـتطيع نيـل سـعادته الحقيقية مادام أسيراً لعقلية اكتناز الثروة ومادامت صفوة المجتمع من رجال الدولة والمتنفذين اقتصاديًا لاهم لهم سوى التنافس والتصارع والتقاتل عليها. وهذا ما يوضحه على لسان **هيثلوداي** عندما يعلق قائلاً:

فإنه يبدو لي أنه حينما وجدت الملكيـة الخاصـة، وكـان المـال المعيـار الـذي يقـاس بـه كـل شـيء، فيكـاد يكـون مـن المسـتحيل تقريبـًا أن يسـود المجتمع العدل أو الرخاء {133/55}.

هذا الحوار الذي يقوده الفيلسوف والحكيم المجرب **رافائيل هيثلوداي** يضع القواعد والأسس النظرية والفلسفية لمجتمع فاضل ودولة فاضلة يكون فيها جميع أفراد المجتمع سواسية أمام القانون وسواسية فيما يتعلق بتوزيع الثروة.

والكتاب الأول يُعَدُّ مدخلاً نظرياً للمجتمع اليوتوبي الفاضل والدولة اليوتوبية الفاضلة فإن الكتاب الثاني مكرس لوصف هذا المجتمع وهذه الدولة على لسان **هيثلوداي**. وهنا يهيئ المؤلف السير **توماس مور** القارئ أن يقرأ الكتاب **الثاني "كعمل روائي بلاغي أكثر مما هو رسالة علمية" على** حد قول وولتر ديفز في مقالته **يوثوبيا** مور كرواية **{257:1980}**.

الكتاب الثاني

يكـرس السـير **تومـاس مـور** الكتـاب الثـاني لوصـف المجتمع اليوثوبي والدولة اليوثوبية على لسان **هيثلوداي** كما يتخيلها وكما يتوق الفيلسوف أن يكون المجتمع الانساني الفاضل.

ويبدأ **هيتلودي** حديثه لجلسائه بوصف جغرافي مفصل عن موقع الجزيرة **يوثوبيا** المحصنة طبيعيًا بحواجز طبيعية وكأن السماء قد منحتها هذه الهبة والبركة الربانية. حتى الممرات الآمنة "**فلا يعرفها سوى سكان الجزيرة، ولذا فقلما يحدث أن يدخل الخليج غريب دون مرشد من اليوتوبيين، خطورة الملاحة به لا تكاد تسمح لهم أنفسهم بدخوله دون التعرض للخطر، ما لم تكن إشارات على الشاطئ ترشدهم الى الطريق**"**{141/62}**.

وتضـم الجزيـرة علـى حـد قـول **هيثلـوداي** أربـع

وخمسون مدينة كبيرة **"تتكلم جميعاً نفس اللغة، ولها نفس التقاليد والعادات وتسودها ذات القوانين والنظم"** **{142/64}**. وتحتل مدينة **أماورات** مركزاً لكل المدن.

وفي إشارة لسياسة التوسع بين دول الإمبراطوريات الأوروبية التي تقود غالباً الى الحروب فإن اليوتوبيين لا يفكرون مطلقاً فيما يسمى بالتوسع على حساب الآخر إذ **"لا تسعى أية مدينة من هذه المدن الى توسيع رقعتها لأن اهلها يعتبرون أنفسهم زراعاً للأراضي أكثر من ملاكاً لها"{144/64}**.

ويصف **هيثلوداي** الحياة الاجتماعية في كل مدن الجزيرة حيث العدالة والمساواة هي السائدة وأن المواطنين في كل المدن متساوون في الواجبات والحقوق. وقد وضع لهم **اوثوبوس** مؤسس الدولة وأول الحكام فيها نظاماً عادلاً للحكم ويسمى **بالحاكم الفاضل** الذي يشرف

على مصالح مواطنيه، الذي لم يفكر إطلاقًا بأن كرسي الحكم قد صنع له فقط. بل أنه يؤمن إيمانًا تامًا بأن هناك حكامًا من ذوي الخير والفضيلة سيخلفونه ويبدأون من حيث انتهى هو.

ثم ينتقل **هيثلوداي** للحديث عن نظام الدولة المثالية الفاضلة؛ إذ يتم انتخاب الحكام الذين يصل عددهم إلى المائتين. وبدورهم يقوم الحكام باختيار الأمير من بين أربعة سبق أن انتخبهم الشعب، ويتم هذا الاختيار بالاقتراع السري بوصفه أفضلهم لهذا المنصب. وخلافًا للحكام المائتين الذي يتم انتخابهم سنويًا؛ فإن الأمير ينتخب **"طول الحياة مالم يعزل أن اتهم بالميل للطغيان"** **{149/71}**.وفي هذه الحالة ترى الدكتورة **ميلدريد كوديل** **"أن الحكومة نيابية، فهي ليست ديمقراطية ولا لبرالية بالمعنى الحديث"** **{164/1970}**.

والمجتمع في جزيرة **يوتوبيا** هو مجتمع زراعي لا وجود فيه للملكية الخاصة ولا لنظام الامتلاكية. وكل افراد المجتمع متساوون في حراثة الارض وفي تقاسم غلاتها.

أما التعليم فهو حق يتساوى فيه الجميع. ويروي **هيثلوداي** لجلسائه أن اليوتوبيين لا يعرفون شيئًا عن الفلاسفة المشهورين في العالم المعروف للأوروبيين.

وقد تعرفوا على فلاسفة الإغريق وتعلموا لغتهم عند وصول **هيثلوداي** ورفاقه الى الجزيرة. بل أنهم أبدوا رغبة كبيرة في تعلم اللغة الإغريقية وآدابها وكذلك الفلسفة الاغريقية. يقول **هيثلوداي**:

وفي أقل من ثلاث سنوات أتقنوا اللغة وأصبحوا قادرين على قراءة المجيدين من الكتاب دون مشقة مالم يكن في الكتاب ذاته أخطاء. ويخيل إلي أنهم تمكنوا من الأدب اليوناني بهذه السهولة

لأنه كان قريب الشبة لحدما من آدابهم، إذ يخيل إلي أنهم من سلالة اليونان، فلغتهم التي تشبه الفارسية في جميع وجوهها تقريباً، تحتفظ ببعض آثار اليونانية في اسماء المدن والوظائف العامة {187/121-120}.

وفي حديث **هيثلوداي** هذا يشعر المرء بنفس **توماس مور** وحماسه الشديد للأدب الاغريقي وولعه بالفلسفة الاغريقية.

اليوتوبيون والفلسفة الاخلاقية

وفي حديثه وحواره عن الفلسفة فقد أكتشف **هيثلوداي** أن اليوتوبيين غالبـًا ما يثيرون جدلاً ونقاشـًا حول مفهوم الخير والشر وحول مفهوم الفضيلة والرذيلة في الحياة الإنسانية. وأن أكثر همهم في القضايا الجدلية هو سعادة الإنسان، المبحث الأساسي في الفلسفة على مدى الأجيال. وتظل القضية الدينية محوراً أساسيًا في حواراتهم ومطارحاتهم الفلسفية:

فهم لا يجرون مناقشة فلسفية دون أن يربطوا بين بعض المبادئ المأخوذة من الدين وبين البعض المأخوذ من الفلسفة، التي تستخدم الحجج العقلية. فهم يظنون أنه بدون هذه المبادئ يُعد العقل وحده ضعيفًا وقاصراً عن بحث السعادة الحقيقية {174/103}.

لذلك فإن الدين والعقل متلازمان لتشكيل قاعدة موحدة من خلالها ينال الانسان الكمال التام والسعادة

الحقيقية. وهي ذاتها الأفكار التي يؤمن بها السير **توماس مور** وتقول بها المدرسة الإنسانية المسيحية التي يُعد **مور** أحد روادها في انجلترا.

والفضيلة عند اليوثوبيين تقوم على أساس الربط بين الدين والعقل ويعتقدون "**أن الروح خالدة وأنها من كرم الله قد خُلقت للسعادة، وإننا سنلقي في الحياة الأخرى الجزاء عن فضائلنا واعمالنا الصالحة والعقاب على جرائمنا وأخطائنا"{174/104}**.

والسعادة الحقيقية لا ينالها الانسان إلا إذا أبتلي، إذ أن الغايات الفاضلة لا ينالها الإنسان إلا من خلال المعاناة القاسية، ومن خلال الصبر على الشدائد، ومن خلال مواجهة نوائب الدهر. ويعلق **جيمس ستاينتراجر** في بحثه افلاطون **ويوتوبيا مور** أن **توماس مور** يؤكد على أن رجال الدولة بما فيهم **الحاكم الأول** يجب أن يكونوا على قسط

وافر من الحكمة والفضيلة وأن **"الاعتبار الأساسي هو الحكمة وليس الاتفاق والإجماع" {1969: 363}**.

وفي الحديث عن السعادة يعرج **هيثلوداي** في مناقشة مفهوم اللذة في الفلسفة اليوتوبية. فالسعادة الحقيقية لا توجد إلا في اللذة الخيرة الشريفة. وفي حديثهم عن الفضيلة وغريزة الخير في الانسان فإن اليوتوبيين يعرفون الفضيلة:

> **بأنها الحياة تبعًا للطبيعة، مادام الله قد خلقنا لهذا الغرض. فهم يقولون بأن الفرد الذي يتبع نداء الطبيعة هو ذلك الفرد الذي يطيع نداء العقل ممثلاً في رغبته في شيء ما، وتجنبه لشيء آخر، فالفعل أساسًا يذكي في نفوس الناس حب القدرة الالهية وتقديسها، فلها ندين بوجودنا وبقدرتنا على السعادة أولاً. {175/105}.**

إذن فإن **هيثلوداي** يتحدث هنا عن الفطرة التي فطر الله

الناس عليها. ويعتقد **ستاينتراجر** أن الاخلاقية عند اليونان وعند اليوتوبيين في إطارها العام تكمن في اللذة المرتبطة بالسعادة أكثر من كونها مرتبطة بالأخلاقية الافلاطونية. **"هذه الأخلاقية الطبيعية مرتبطة بتسلسل هرمي طبيعي للاحتياجات الإنسانية، ولكنها التسلسلية التي تعطي أهمية كبرى لكل مستوى أو نوع من الاحتياج"{371/1969}**. ونيل السعادة عند اليوتوبيين لا تتحقق إلا بإسعاد الآخر **"أن يخفف المرء من شقاء الآخرين، وينزع الحزن من حياتهم ويعيدهم الى الاستمتاع بالحياة؛ أي الى اللذة" {176/105}**. إذن فإن السعادة الفردية لا يمكن تحقيقها إلا بمساعدة الآخرين على أن يكونوا سعداء. فالأنانية ليس لها مكان في حياة اليوتوبيين ولا في تفكيرهم. الكل يسعى الى سعادة الكل منطلقين في ذلك من معتقدهم الديني. إن أخلاقهم الفاضلة تدين من يسعى لأجل سعادته الفردية

فقط على حساب سعادة الآخر.

وعندما يتحدث **هيثلوداي** عن متعة الجسد والعقل فإنما يقصد بها السعادة وبالذات سعادة العقل. هذه المتعة أو اللذة التي يسعى الإنسان إلى نيلها هي اللذة التي تحقق للفرد سعادته وللآخرين سعادتهم. وهناك فرق بين لذة كاذبة مزيفة لا تتسبب إلا في مضرة الفرد وبالتالي مضرة المجموع، وبين لذة حقيقية تجلب السرور والسعادة للفرد والمجتمع. وحول هذه النقطة تعلق **ميلدريد كودل** بالقول:

هناك اهتمام كبير في (يوتوبيا) بما يحقق (الحياة الطيبة). من وجهة نظر يوتوبية أن تعيش منسجمًا مع الطبيعة فهذه هي الفضيلة. الطبيعة تقودنا الى اللذة. اللذة ليست ميزة ولكنها نتيجة لذلك الرضاء أو الارتياح الذي لا يضر الآخرين. وهي على نوعين: لذة الجسد المهتمة بالغذاء والشرب

والصحة، ولذة العقل الناتجة عن أعمال الفكر وتأمل الحقيقة، والأخيرة هي أسمى من الأولى، كونها توصل الى (الحياة الأفضل). **{165:1970}**. وقريب من هذا التصور ما يورده **جون جيجون** في بحثه الموسوم قراءة في **يوتوبيامور كنقد لأفلاطون حيث يقول: "كلا التأمل والفعل الفاضل أكثر رفعة وسمواً من اللذة الجسدية" {433:1978}**.

ولا يكفي فقط الاعتماد على العقل لاكتساب المعرفة والسعادة؛ فالإلهام الروحي هو الأساس لأن يمد الإنسان بالسعادة الحقيقية. ويخبر **هيثلوداي** محاوريه أن اليوتوبيين يعتقدون **"أن عقل الانسان لا يمكن أن يتوصل الى رأي أصدق، مالم يلهمه دين سماوي بشيء أكثر قدسية" {185/108}**.

فالأساس الديني هو حقيقة جوهرية في الفلسفة الأخلاقية لدى اليوتوبيين. فهم يعتقدون أن العقيدة الدينية هي القاعدة الصلبة لاكتساب المعرفة والسلوك. فالدين يغذي روح وعقل الإنسان لنيل السعادة. وفي بحثه الافلاطونية في **يوتوبيامور** يورد **هاري نيومان** ما نصه:

أن لذة اليوتوبيين في اكتساب المعرفة تعتمد على مبادئ دينية يتبناها عقلياً كل المواطنين المخلصين. وأن متع العقل هي الغالب وبالتالي فهي تقدم السعادة الفردية أكثر مما تقدمها المعتقدات اليوتوبية الحصرية {510/1966}.

اليوتوبيون وحياتهم الاجتماعية

الحياة الأسرية في جزيرة **يوتوبيا** منظمة تنظيماً عالياً تحكمها النظم والأعراف التقليدية المنطلقة من فلسفتهم الأخلاقية. فالأسرة تبدي احتراما كبيراً لأكبر الرجال سناً فيها بوصفه الحاكم فيها. والزوجات يقمن بخدمة أزواجهن وأبنائهن وبخدمة الوالدين. والأقل سناً في الأسرة يخدم الأكبر سناً. ومع ذلك فالعدالة هي أساس العلاقات فيما بينهم.. وكل أفراد الأسرة شباباً كانوا أم كهولاً سواسية في الحقوق والواجبات.

أما الخدمات الطبية في المجتمع اليوتوبي فمكفولة وميسرة بشكل ممتاز. والمرضى يتم نقلهم الى مستشفيات عامة؛ وأصحاب الأمراض المعدية يتم عزلهم وتوفير خدمات صحية لهم بعيداً عن الآخرين. "**وهذه المستشفيات مجهزة تجهيزاً حسناً ومزودة بجميع اللوازم الصحية. وعلاوة**

علـى ذلـك، فقـد زودت بالعنايـة الفائقـة والعـلاج الـدقيق والتواجد الدائم للأطباء المتمرسين." {160/86}.

وخلافـًا للمجتمعـات الاوروبيـة -كمـا يقـول **هيثلـوداي**- التـي تعطـي للمجـوهرات والـذهب والفضـة والاحجار الكريمة قيمة عالية؛ فإن اليوتـوبيين لا يلتفتـون إليهـا ولا يضـعون لهـا وزنـًا ولا شـأنـًا. بـل أنهـم يفضـلون معدن الحديد كأكثر المعادن حاجة إليها. وتقليلاً مـن قيمـة هـذه المجـوهرات فـإنهم يصـنعون منهـا أحـط الأواني للاستعمال؛ بيمنا تصنع الأواني المنزلية للأكل والشرب من الفخار والزجاج.

وفضلاً عن ذلك، فهـم يسـتخدمون هـذه المعـادن عينها لصنع الأغلال والقيود الثقيلـة التـي يوثقـون بهـا العبيـد، وأخيـراً فإنـه كـل مـن يرتكـب جرمـًا فيجلب العار على نفسه، يعلقـون الحلـي الذهبيـة

في أذنيه، ويضعون الخواتم الذهبية حول أصابعه، والسلاسل الذهبية حول رقبته، وأخيراً تاجًا ذهبيًا على صدغيه. وهكذا يجعلون، بكل وسيلة في متناول اليد، من الذهب والفضة علامة للعار والخزي {168/96}.

هذه المعادن التي تعدها المجتمعات الانسانية الأخرى ثمينة وقيمة هي في نظر اليوتوبيون عديمة القيمة فهي تُعطى لأطفالهم للمتعة والتسلية. وعندما يكبر هؤلاء الأطفال ويشبون فإن هذه القطع الذهبية والفضية والاحجار الكريمة تؤخذ منهم كونها لا تليق بهم كراشدين ولم يعد لهم حاجة بها للتسلية واللعب. يقول **هيثلوداي** محدثًا جلسائه:

ويفرح هؤلاء الصغار ويفخرون بهذه الحلي في السنوات الأولى من طفولتهم، ولكنهم ما أن

يشبوا عن الطوق ويدركوا أن مثل هذه اللعب لا يلبسها إلا الأطفال، حتى يخلعوها خجلاً دون أن يأمرهم بذلك ذووهم، كما يفعل أطفالنا ويكبرون، ويلقون بعيداً بلعبهم ودماهم {169/97}.

ويضيف **هيثلوداي** قائلاً وقد يحدث أحيانًا أن يزور اليوتوبيين أناسٌ من الدول المجاورة كما حدث ذات مرة أن زارها بعض السفراء الأجانب أثناء إقامته، وذلك لمعالجة بعض الأمور العامة مع دولة يوتوبيا. فكان هؤلاء السفراء يعتقدون أن اليوتوبيين فقراء لا يملكون ذهبًا ولا فضة ولا يملكون الملابس الفاخرة

فقد قرروا أن يظهروا بمظهر الآلهة بملابسهم الفاخرة ويبهروا أعين اليوتوبيين المساكين بحليهم الفاخرة.... فكانوا يرتدون ملابس من

نسيج الذهب، ويتحلون بعقود وأقراط ذهبية ثقيلة، ويحلون أصابعهم بالخواتم الذهبية وقبعاتهم بعقود من اللآلي والجواهر {170/98}.

وبدلاً من أن يبهروا أعين اليوتوبيين بهذه الفخامة وهذه الأبهة فقد نظر إليهم عامة اليوتوبيين نظرة ازدراء واستخفاف واستهجان ظناً منهم أن هؤلاء عبيد لا أسياد. يحدث **هيثلوداي** جلسائه عن هذه الحادثة التي رآها رأي العين فيقول:

ومما كان يستحق المشاهدة منظر الأطفال ممن كانوا قد تخلصوا من الجواهر واللآلي وهم يلكزون أمهاتهم، عندما رأوا هذه الأشياء على قبعات السفراء قائلين: أنظري يا أماه هذا العملاق الأحمق الذي يلبس اللآلي والجواهر وكأنه صبي صغير. فتقول الأم، بكل جدية أيضاً:

صـه يـا بنـي. أعتقـد أنـه أحـد مهرجـي السـفراء {170/99–98}.

بهذا الأسلوب الساخر اللاذع يشحذ **توماس مـور** سنة قلمه النقدية ليصب جام نقده على الجشعين من رجال النفوذ السياسي والمالي في المجتمعات الأوروبية الذين لاهم لهم سوى اكتناز الذهب والفضة والمجوهرات دون اكتراث بمصالح شعوبهم وأوطانهم. ويتسابقون بل ويتصارعون ويقتتلون على رفع أرصدتهم من المال والثروة وتوسيع رقعة ممتلكاتهم الزراعية والعقارية ويشعلون نار الكراهية والبغضاء داخل مجتمعاتهم. ولربما تسببوا في إشعال حروب مع مجتمعات ودول أخرى.

وحول قضية الجشع والطمع لدى الإنسان فإن **توماس مور** المخلص لدينه وعقيدته فيرى في ذلك دافعاً للكبر والغرور التي هي من الكبائر التي تنهي عنها الديانات

السماوية فيعلق على لسان **هيثلوداي** قائلاً:

مما لاشك فيه أن الجشع والطمع منشأهما في كل نوع من الكائنات الحية هو الخوف من الحاجة، أما في الإنسان وحده فالدافع إليهما هو الكبرياء وحدها؛ الكبرياء التي ترى مجداً شخصيًا في التفوق على الغير في استعراض الممتلكات التي لا نفع منها. وهذه رذيلة لا مكان لها مطلقًا في حياة اليوتوبيين {84–159/85}.

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في **يوتوبيا** وحسب التقاليد الاسرية الموروثة فإن المرأة لا يحق لها الزواج قبل وصولها سن الثامنة عشر. كما أن من التقاليد الاجتماعية للزواج وقبل بدء المراسيم أن يطلب من العروسة المثول أمام عريسها عارية وذلك في حفرة العقبلة الوقورة وهي المرأة الكهلة المتزوجة ذات المقام

الاجتماعي الرفيع. وبالمقابل فإن على العريس أن يقف عارياً تماماً أمام عروسه وفي حضرة رجل وقور وذلك حتى يتم التأكد من أنهما بصحة جسدية كاملة. ويعتقد اليوتوبيون أن المستقبل السعيد للأسرة الجديدة يتطلب مثل هذا الإجراء.

أما تعدد الزوجات فإنه غير مصرح به إطلاقًا إلا في حالة ارتكاب جريمة الزنا أو مشاكل جنسية غير قابلة للحل أو المعالجة.

وجميع أفراد المجتمع اليوتوبي متساوون لا فرق بين مواطن وآخر بما في ذلك الحكام والكهنة الذين يتمتعون بمكانة اجتماعية رفيعة من حيث التشريف والاحترام. يحدث هيثلوداي جلسائه بالقول: **"وحتى الحاكم ذاته لا يميزه عن غيره من المواطنين رداء او تاج بل حفنه من الحبوب تُحمل أمامه، وكذا الكاهن الأعظم الذي لا يميزه**

سوى شمعة تُحمل أمامه" {196/133}. وهـذا المسـتوى من العدالة والمساواة الحقة في المجتمع اليوتوبي –حسب اعتقـاد **هيثلـوداي**– لا تقـارن بالعدالـة المزيفـة في البلـدان المعروفة لدينا.

اليوتوبيون ومفهوم السلام

ينطلق مفهوم السلام لدى اليوتوبيين من الفلسفة الاخلاقية والعقيدة الدينية لديهم. فهم يكرهون العداوة فكرة وممارسة ويمقتون البغضاء قولاً وعملاً. ويدينون شيئا اسمه الحروب والاقتتال بوصفها أعمالاً غير شريفة لا تليق بكرامة الإنسان وخلقه الفاضل. وهم في علاقاتهم مع غيرهم من الدول المجاورة يتجنبون أن تصل قضايا الخلاف الى حالة الاحتراب والاقتتال؛ ويفضلون عليها الوسائل والحلول السلمية. ولكنهم في ذات الوقت على استعداد دائم للدفاع عن بلادهم وصد المعتدي؛ بل وللدفاع عن غيرهم إذا تعرض للأذى والظلم والعدوان. يشهد على ذلك حرصهم على التدريب العسكري لا فرق فيه بين الرجال والنساء يحدث **هيثلوداي** مناظريه فيقول:

أما الحرب كنوع من النشاط، فلا تليق إلا

بـالوحوش، ومـع ذلـك لا يمارسـها نـوع مـن الوحوش أكثر مما يمارسها الإنسان؛ فيبغضـونها أشد البغض. وعلى عكس عـادة جميع الشعوب الأخرى تقريبـًا، لا يعتبرون شيئـًا أبعد عن المجد من ذلك المجد الذي يتحقق عن طريـق الحـرب. ومـع ذلـك فـإن الرجـال والنسـاء علـى حـد سـواء يتـدربون بحمـاس علـى الاعمـال الحربيـة في أيـام محـدده، حتـى لا يفتقـروا الـى اللياقـة الحربيـة إذا دعت الحاجة للحرب {200/140}

كما يؤمن اليوتوبيون لو أنهم يستطيعون إحـراز النصـر بعيداً عن سفك الدماء:

أمـا إذا لـم يكـن هنـاك سـبيل الـى ذلـك، فـإنهم يطـالبون بتوقيـع العقوبـة الصـارمة علـى اولئـك الذين يقع عليهم اللوم، بحيـث يخشـون معـاودة

الكرة فيما بعد. وذلك هو أهم ما يشغلهم في هذا الشأن، وما يسعون بسرعة الى تحقيقه، على أن يحرصوا على تجنب الخطر أكثر مما يحرصوا على الفوز بالثناء والشهرة {203/143}.

وانطلاقا من عقليتهم السلامية هذه فإن المرء لا يرغم على المشاركة في المعارك، وبالمقابل فان من حق المرأة خوض المعارك إذا أرادت أن ترافق زوجها. وحتى إذا أجبر اليوتوبيون واضطروا الى خوض غمار الحرب ومقاومة عدوهم فأن روحهم السلامية وطبيعة الخيرة الفاضلة تدعوهم الى معاملة عدوهم المهزوم بالحسنى. فلا يقدمون على حرق حقولهم ولا على إتلاف مزارعهم أو نهب مواشيهم ولا يسلبون أو ينهبون مدن عدوهم. كما أنهم لا يقدمون على إيذاء من لم يحمل سلاحًا. بل على العكس من ذلك يرون أن من مسؤوليتهم حماية المدن والمدنيين.

هـذا المفهـوم السـلامي.. وهـذه السـلكبة الأخلاقيـة الفاضلة هي على النقيض مما يـراه السير **توماس مور** في زمانـه مـن اشـعال الفـتن والحـروب بـين الامبراطوريـات الأوروبية رغبة في التوسع مـن أجـل زيـادة النفـوذ والسـلطة واكتناز الثروة. ويرى جيمس **ستاينتريجر** أن **يوتوبيا**:

هـي المكـان الـذي تنمـو فيـه الفضـيلة الأخلاقيـة الإنسانية. ويبدو فيه من غير المقبول أن فكر مـور وأفلاطون أن الحرب عمل طيب، ولكنه شر لابـد منه والذي من أجله يعمـل الحكمـاء مـن الرجـال {391:1969}.

العقيدة الدينية وفضيلة التسامح

في وصفه الشائق الماتع للمجتمع اليوتوبي يؤجل هيثلوداي حديثه عن العقيدة الدينية حتى آخر الرواية. ويؤكد أن اساس معتقدهم الديني يرتكز على مبدأ التسامح. وليس هناك في المجتمع اليوتوبي معتقد واحد يجمع عليه كل اليوتوبيين. فمنهم من يعبد الشمس ومنهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد الاسلاف من ذوي الفضيلة والصلاح ومكارم الأخلاق:

أما الغالبية العظمى، وأكثر اليوتوبيين حكمه، فلا يؤمنون بشيء من هذا، بل يؤمنون بكائن واحد معين، غير معروف، أبدي، يفوق التصور والفهم، وأبعد بكثير عن متناول العقل البشري، منتشر في العالم كله، لا حجمًا بل قوة ويطلقون عليه لفظ الأب. وإليه ينسبون بدايات الاشياء

جميعـًا ونموهـا، وتطورهـا، وتغيرهـا، ونهايتهـا، كمـــا يرونهـــا، ولا يقـــدمون العبـــادة لســـواه {212/155}.

وأول مـن أوجـد هـذه القاعـدة الدينيـة في حريـة العبـادة والتسـامح الـديني هـو مؤسـس الدولـة الحـاكم الفاضـل **أوثوبوس**. فأصبح من حق كل مواطن في الجزيرة أن يختار معتقده الديني الخاص به؛ على أساس أن ليس لأي أحد الحق مهما كان أن يشوه أو يحط من قدر معتقدات الآخر. وعندما وضع **أوثوبوس** هذه القواعد فإنما وضعها **"لاحبًا في السلام الذي رأى أنه دائم التعرض للخطر نتيجة للجدل المستمر والكره الدائم فحسب بل أيضـًا لأنـه رأى أن هـذه الطريقة لتسوية الأمور تخدم الدين أيضـًا" {214/159}.**

وهذه إشارة أخرى جديرة بالاهتمام من السير **توماس مور** الذي يرى في التسامح الديني والمذهبي ليس فقط أمن

وسلامة المجتمع ولكن أيضاً سلامة الأخوة الدينية الإنسانية.

كما أن هناك إشارة أخرى واضحة الى المذهبية الصوفية واولئك الذين يتجاهلون حقائق الحياة الانسانية الدنيوية؛ مكرسين أنفسهم وأوقاتهم فقط لحياة الزهد والتقشف والتنسك والتبتل:

الذين لا يمتنعون عن ممارسة العلاقات الجنسية فحسب، بل أيضاً عن أكل جميع انواع اللحوم، بل في بعض الأحيان عن جميع المأكولات الحيوانية. وهم يرفضون تماماً ملذات هذه الحياة كأشياء ضارة، ولا يتوقون لشيء سوى الحياة الأخرى التي يسعون إليها بالسهر والعرق {218/165}.

أما الكهنة الذين يتم انتخابهم بالاقتراع السري من قبل اليوتوبيين بمعدل ثلاثة عشر كاهناً لكل مدينة، فهم

مسؤولون عن كل الأمور المقدسة وكذلك التعليم.

ولهم منزلتهم الدينية والاجتماعية التي ربما تفوق منزلة الحكام أنفسهم. وإذا قدر أن أرتكب أحدهم جرماً، وهذا نادر جداً، فليس هناك سلطة قانونية دنيوية تحاسب، وإنما يترك أمره الى الله والى ضميره.

ومن هؤلاء الكهنة قلة قليلة يتم اختيارهم لمرافقة الجيوش الى ميادين القتال، مهمتهم الاساسية الدعاء من أجل السلام، ثم من بعد ذلك الدعاء بالنصر لجيوشهم. ومع ذلك فإنهم يصلون ويبتهلون بالدعاء أن يتحقق النصر بالسلم وبدون إراقة دماء من أي من الطرفين المتقاتلين. يصف **هيتلودي** هذا الموقف على النحو التالي:

فعندما تخوض الجيوش المعارك، يرى الكهنة منفصلين عن الجند ولكن على مقربة منهم، جاثمين على الأرض، مرتدين مسوحهم

المقدسة، رافعين أيديهم الى السماء، مصلين أولاً من أجل السلام، ثم ليكون النصر في جانبهم، ولكن دون إراقة كثير من الدماء في أي من الجانبين. فإذا ما كانت الغلبة لرجالهم جروا وسط المقاتلين وعملوا على كبح غضبهم ضد العدو المهزوم {221/169}

هذه الصورة السلامية والتسامحية التي يرسمها لنا **هيتلودي** بريشته الانيقة المتألقة هي انعكاس واضح للنظرة الدينية والفلسفية التي يحملها السير **توماس مور** ويدعوا إليها. وهي ذات الفكرة التي يقول بها المذهب الفلسفي الانساني المسيحي في عصره.

ويلخص السير **توماس مور** أطروحته الفلسفية أو روايته الخيالية هذه على لسان **رافائيل هيثلوداي** مختتماً حديثه عن الحياة السياسية والاجتماعية واصفاً المؤسسة السياسية في

جزيرة **يوتوبيا** بوصفه أفضل نظام سياسي في العالم بقوله:

> **وبهذا أكون قد وصفت لكم، بقدر ما أستطيع من الدقة بناء تلك الدولة التي أرى أنها ليست أفضل دولة فحسب، بل أيضًا الدولة الوحيدة التي يمكن بحق أن يطلق عليها الدولة المثلى. فمن المؤكد أن الناس يتحدثون كثيراً خارج يوتوبيا عن الصالح العام، ولكنهم لا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة. {175–226/176}**

ثم يعلن **هيثلوداي** متحمسًا تحديه لمحاوريه في من يستطيع أن يقدم له نموذجًا لدولة أوروبية يسودها عدل ومساواة أكثر مما هو في دولة **يوتوبيا** أو حتى مساويًا لها. ويختتم سرده لقصته قائلاً:

> **لهذا السبب يملؤني الفرح، لأن نظام الدولة هذا الذي أتمناه من كل قلبي لجميع الشعوب، قد**

كان من حسن الحظ من نصيب اليوتوبيين على الأقل. فقد أتخذوا تلك الأنظمة التي أرست دعائم الدولة على أسس من السعادة الفائقة من ناحية والقدرة على البقاء الى الأبد، بقدر ما يستطيع المرء التنبؤ بالمستقبل، من ناحية أخرى. فقد اقتلعوا من بلادهم جذور الطموح والفتنة الحزبية، مع غيرهما من الرذائل {2230/181}.

بذلك يقدم لنا السير **توماس مور** الفيلسوف ورجل السياسة والدين المجتمع المثالي الفاضل الذي يطمح في أن يتحقق في الحياة الإنسانية. مجتمع تسوده العدالة والمساوة والتسامح والخير والفضيلة.. مجتمع السلام والسعادة.

وعلى الرغم من أن هذه الدولة تبدو في غاية الخيال وليس من السهل تحقيقها في الواقع العملي الانساني؛ إلا أنها تظل حلماً من الأحلام التي تراود عقول الفلاسفة من

وقت لآخر في الدعوة لمجتمع إنساني مثالي فاضل.

لذلك فأننا نجد شخصية **مور** في نهاية الرواية واضحة جداً في تعليقاته وردوده على **هيثلوداي** بأن هناك بعض المفاهيم غير الواقعية في الفكر اليوتوبي الخاصة بالاقتصاد والمعتقدات الدينية وأمور الحرب. وعلى الرغم من أنه يسلم بل ويقدر عالياً غزارة المعلومات وعمق الفكر الذي يحمله **هيثلوداي**؛ إلا أنه يبدي بعض التحفظات لبعض الآراء والأفكار الواردة في حديثه. وينهي الرواية بقوله:

وحتى ذلك الحين، لا أستطيع الموافقة على كل ما قاله، بالرغم من أنه، فيما عدا ذلك من الأمور، رجل لا يشق له غبار في علمه، وفي معرفته الكبيرة بالشئون الإنسانية. ولكن أعترف بكل رضى أن هناك كثيراً من ملامح الدولة اليوتوبية أجد من السهل أن أتمنى تحقيقها في بلادنا أكثر من أن

أجد لدي الأمل في رؤيتها وقد تحققت {232–182–231/183}

وواضح في هذه الرواية القصصية النثرية الخيالية أن السير **توماس مور** يحاور ذاته من خلال شخصية الفيلسوف المثالي **هيثلوداي** وشخصية رجل السياسة الواقعي **مور**. فهو كفيلسوف وربما أيضاً كرجل دين ومصلح اجتماعي يتوق الى تغيير جذري في الحياة السياسية الاجتماعية في بلاده إنجلترا وربما في البلاد الأوروبية، ولكنه كرجل سياسي واقعي يرى من الصعوبة بمكان تحقيق كل هذه الطموحات، ولكنها رغبة في أن يسعى الإنسان إلى تحقيق ما يمكن تحقيقه من اجل مجتمع فاضل مثالي ودولة فاضلة مثالية. ويعلق على هذا الموقف الإنساني للسير **توماس مور برندان برادشو** في بحثه الموسوم **مور واليوتوبيا** بقوله:

أن التعليق النقدي الساخر الذي يختتم به فكرته عن (يوتوبيا) يبدو من خلاله أنه قد استوعب الدرس جيداً لتطبيقه على تعاليم الاستاذ نفسه... وأن الرسالة تحمل في طياتها دلالات ومعانٍ عميقة فيما يتعلق بالإصلاحات في الدولة. وهي إن إمكانية إقامة تطور اجتماعي وسياسي لا تكمن في الواقعية الأخلاقية للمفكر لوحده ولا في برغماتية السياسي، ولكن في حوار بناء مستمر بين الاثنين {287:1981}.

أما **هاري ثرومان** في بحثه الأفلاطونية **في يوتوبيامور** فيخلص إلى القول إن تعليقات **مور** على الحماس المفرط لدى **رافائيل هيثلوداي** تجاه الدولة المثالية في جزيرة **يوتوبيا** قد أتخذ اتجاهين أساسيين لدى النقاد "**فمنهم من هو مقتنع أنه رافض للآراء التي قدمها رافائيل. وآخرون مقتنعون بأنه**

جاد نسبيًا أو أنه غير جاد إطلاقًا في رفضه" {490:1966}.

ومهما تكن وجهات نظر النقاد حول **يوتوبيا** السير **توماس مور** فإن الرواية تظل إحدى التحف الأدبية الفلسفية في أدب المدينة الفاضلة والأدب اليوتوبي. ويكفينا أن ندرك أن اسم إحدى المدارس الأدبية وهي المدرسة اليوتوبية قد أشتق من هذا العمل الروائي الفلسفي. هذه الرواية القصصية النثرية تأخذنا خارج العالم الواقعي الى عالم الخيال الجامح.. ولكنه على اية حال، عالم مثالي من القيم والفضائل يطمح الانسان أن يعيش فيه.

الخاتمة

ونصل في نهاية المطاف ونحن نبحث في الفلسفة والأدب من خلال كتاب **آراء المدينة الفاضلة للفارابي** وكتاب **(يوتوبيا) لمور** أن كلاً منهما يريد إيصال رسالته الى المجتمع الانساني بشكل عام. وإلى مجتمعه بشكل خاص، في تجنب شرور ومفاسد الحياة الدنيوية والتوجه برؤية مستقبلية نحو إنسان فاضل ومجتمع مثالي فاضل تتحقق فيه السعادة الحقيقية. وذلك من خلال إرساء مبادئ وقواعد العدل والمساواة وسيادة الأمن والسلام والاستقرار.

وليس هناك أدنى شك في أن **الفارابي** و**مور** وهما يبحثان في موضوع الفضيلة والمجتمع المثالي الفاضل كانا قريبين جداً من الفكر والتعاليم الدينية السماوية التي يؤمنان بها أشد الإيمان. كما يتضح أيضاً تأثرهما بالفكر الفلسفي الاغريقي وبالذات تأثرهما بالفلسفة المثالية

الأفلاطونية وكتاب **الجمهورية**، الذي سبقهما في رسم ملامح المجتمع المثالي والدولة المثالية. ويعد الاثنان رائدين للمدرسة الفلسفية الإنسانية كلاً في مجتمعه وزمانه. خاصة إذا لاحظنا أوجه الشبه بين الاثنين في محاولة التوفيق بين التعاليم الدينية السماوية والرؤى والطروحات الفلسفية المثالية الاغريقية.

وغني عن البيان أن هذين العملين الأدبيين الفلسفيين يعكسان توق كاتبيهما بوصفهما روادًا للمدرسة الإنسانية الفلسفية في البحث عن المجتمع الإنساني المثالي الفاضل وعن الدولة المثالية الفاضلة.

وعلى الرغم من أن هذين العملين هما إنتاج فلسفي في المقام الأول؛ إلا أنهما يتضمنان الكثير من خصائص ووسائل الأدب الرفيع وبالذات أدب المجتمع المثالي والدولة المثالية. وبالتالي يمكن قراءتهما كرسالتين

فلسفيتين أو كتحفتين أدبيتين.

ويبدوا لنا جلياً أن كتاب **آراء أهل المدينة الفاضلة لأبي نصر محمد الفارابي** هو أقرب الى الرسالة العلمية منه إلى النص الأدبي المجرد. بعكس كتاب **يوتوبيا** للسير **توماس مور** وإن احتوى الكثير من الطروحات والمساجلات الفلسفية في نظام الحكم والسياسة وعلم الاجتماع؛ إلا أن المؤلف قد أختار متعمداً أن يأخذ الكتاب الأسلوب الروائي القصصي النثري الذي أبدع في صياغته. وهو هنا أقرب الى أسلوب العلامة الموسوعي **أبوبكر بن طفيل الأندلسي** {1100–1185} في كتابه الفلسفي الشهير **حي بن يقظان** الذي أعتمد فيه قبل أربعة قرون تقريباً من كتاب **توماس مور** اسلوب القصة النثرية وضمنه العديد من المفاهيم والرؤى الفلسفية العميقة؛ فإن شئت قرأته نصاً أدبياً روائياً؛ وإن شئت غصت في أعماق

معانيه كرسالة علمية فلسفية.

والسؤال الذي يمكن أن يثار هنا فيما إذا كان **السير توماس مور** قد تعرف من خلال قراءاته ودراساته الفلسفية على الفيلسوف **الفارابي** و**كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة** خاصة إذا ما علمنا أن الكثير من أعمال **الفارابي** قد تُرجمت الى اللاتينية والى العديد من اللغات الأوربية في القرن الثالث عشر الميلادي؛ واضعين في الحسبان أيضاً أن السير **توماس مور** كان قارئاً نهماً في الدراسات الفلسفية الكلاسيكية الاغريقية المختلفة ويجيد اللغتين الاغريقية واللاتينية قراءة وكتابة. وأن **الفارابي** قد ذاع صيته في ذلك العصر كفيلسوف لا يشق له غبار وانه المعلم الثاني خليفة المعلم الأول وأستاذه **أرسطو**، وهو أفضل من استوعب نتاجاته الفلسفية والفكرية وأفضل من شرحها في ذلك الوقت.

بل إن الأدب والفلسفة وبقية العلوم والمعارف للحضارة العربية الإسلامية الأندلسية قد تُرجمت إلى اللاتينية ولغات أخرى. وليس بمستبعد أن يكون **السيرتوماس مور** قد تعرف عليها بهذه الطريقة أو تلك.

ويظل السؤال قائماً كفرضية علمية جدلية تستحق البحث والدارسة والمتابعة.

ونخلص الى القول من كل ما سبق بحثه ودراسته أن هذين الكتابين يبحثان في أمور ومواضيع فلسفية غاية في الأهمية، بأسلوب متأدب. بحثاً عن حياة خالية من الشرور والمفاسد الدنيوية. حياة تسودها روح الفضيلة ومجتمع إنساني ينعم بالعدل والمساواة والأمن والاستقرار والرخاء والسعادة الإنسانية الحقيقية. وهذا النوع من الأدب الفلسفي أو الفلسفة الأدبية يظل مدخلاً مهماً للتفاهم والتسامح الإنساني وتحقيق المجتمع المثالي الفاضل.

وليس من باب المصادفة ولا من باب الترف الفكري أن تأتي هذه الدراسة في ظل أجواء مشحونة بروح العداوة والبغضاء وروح الحروب والاقتتال؛ ومجتمعات إنسانية يسودها الظلم والقهر والتعسف. مجتمعات فقدت الكثير من قيم الفضيلة لتحل محلها مظاهر الفساد والرذيلة. وحكومات ودول وحكام لا هم لهم سوى مصالحهم الخاصة على حساب مصلحة شعوبهم وأوطانهم.

انتهى بحمد الله تعالى،،،

المراجع

Select Bibliography

أولاً: المراجع العربية:

1. سعد، فاروق (1981) **مع الفارابي والمدن الفاضلة**، بيروت: دار الشروق.

2. سمعان، انجيل بطرس (1974/ 1987) **يوتوبيا توماس مور (ترجمة)**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

3. نادر، البيرنصري (1968) **ابو نصر الفارابي: كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة (تقديم وتحقيق)**، بيروت: دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية).

4. وافي، علي عبدالواحد (بدون تاريخ) **المدينة الفاضلة للفارابي**، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Bradshaw, Brendan. (1981) “More on

Utopia" **The Historical Journal** Vol.24, Issue (1) PP.1-27.

2. Butterworth, Charles E. ( ). (trans. & annot.) **Al-Farabi: The Political Writings (Selected Aphorisms and other Texts)** Ithaca and London: Cornell University Press.
3. Caudle, Mildred Witt. (1970) "Sir Thomas More's 'Utopia': Origins and Purposes" **Social Sciences.** Vol. (45) No (3) PP.163-169. Published by: Pi Gamma Mu. International Honor Society in Social Sciences.
4. Davis, Walter R. (1980) "Thomas More's 'Utopia' as Fiction" **The Central Review**. Vol. (24) No. (3) PP.249-268. Published by: Michigan State University Press.
5. Gerber, Richard (1955) **Utopian Fantasy.** London: Routledg & Kegan Paul.
6. Gueguen, John A. (1978) "Reading More's Utpia As A Criticism of Plato" **Albion: A Quarterly Journal Concerned with British Studies** Vol.10. PP. 43-54.

7. Howatson, M.C. (edit) (1989) **The Oxford Corupanion to Classical Literature.** New York: Oxford University Press.
8. Jackson, Michael. (2001) “Aristotle on Utopia” Published by **Utopian Studies.** Vol. (12) No. (2) PP.1-12. Published by: Penn State University Press.
9. Jahromi, Maryam Ghanbarinejad “Aim and End of Society in Farabi’s Political Phliosophy” **Asia Journal of Social Sciences and Humanities** Vol.4 (2) May 2015 PP.72-79. Noor University Tehran, Iran.
10. Khalidi, Muhammad Ali (2003) “Al-Farabi On the Democratic City” **British Journal for The History of Philosophy** PP.379-394.
11. Khoshnaw, Mahmood N. (2014) “Al-Farabi Conversion of Plato’s Republic” **Advances in Literary Studies.** Vol. (4). No (1) PP.5-8. Salahaddin University Erbil, Iraq.
12. Kinney, Arthur F. (edit) (2000) **The Cambridge Companion to English**

Literature. United Kingdom: Cambridge University Press.

13. Kurmangaliyeva, Galiya etal. (2016) “Al-Farabi’s Virtuous City and its Contemporary Significance (Social State in Al-Farabi Philosophy) PP.88-96.
14. Levitas, Ruth. (2007) “Looking for the Blue: The Necessity of Utopia” **Journal of Political Ideologies.** Vol. (12) No (3) PP.289-306.
15. Macarimbang, Acmad Toquero. (2013) “Envisioning a Perfect City: An Introduction to Al-Farabi’s Political Philosophy” **Journal for Islamic Identities and Dialogue in Southeast Asia** Vol. (1) PP.73-92.
16. More, Thomas. **Utopia**. http://www.planetpdf.com.
17. Nendza, James. (1984) “Political Idealism in More’s Utopia” **The Review of Politics.** Vol. (46) No. (3) PP.428-451. Published by: Cambridge University Press.
18. Neumany, Harry. (1966) “On the Platonism of More’s Utopia” **Social**

Research. Vol. (33) No (4) PP.495-512. Published by New School.

19. Peivasteh, Sadeq. (2015) "Al-Farabi and Civil Society Comparison of the Idea of **The Virtuous City** and Democracy, Based on the Development of Civil Forces" T J E A S Journal PP.15-21.
20. Plato (2000) **The Republic** (tran.) by Benjamin Jowett, New York: Dover Publication.
21. Qusby, Ian. edit (1988) **The Cambridge Guide to Literature in English.** London: Guild Publishing Cambridge University Press.
22. Rafiqul Islam, Muhammad. ( ) "The Ideal State / Society of Plato and Al-Farabi: A Comparative Study".
23. Raitiere, Martin N. (1973) "More's Utopia and The City of God" **Studies in the Renaissance,** Vol. (20) PP.144-168. Published by: University of Chicago Press.
24. Steintrager, James (1969) "Plato and More's Utopia" Social Research Vol. (36)

No. (3) PP.357-372.

25. Steven, Richard. (1966) “On the Practicality of More’s Utopia” **Social Research** Vol. (33) No (1) PP.30-46. Published by: The New School.

26. Stevens, Richard G. (1969) “The New Republic in More’s Utopia” **Political Science Quarterly** Vol. (84) No (3) PP.387-411. Published by: Academy of Political Science.

27. Tanabayeva, Anar etal. (2015) “Al-Farabi’s Humanistic Principles and ‘Virtuous City’” **The European Proceedings of Social & Behavioural Sciences.** PP. 124-129 Future Academy. www.FutureAcademy.org.uk.

